

هُوَ اللَّهُ

تأليف

الإمام العلامة محمد

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

رحمة الله تعالى

طبع في مطبعته

الدكتور السيد أحمد بن محمد بن علوي المالكي الحسني

هُوَ اللَّهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

”لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ“

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

بِقَلَمِ

السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْمَالِكِيِّ الْحِمْزِيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والقلاء والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فهذه رساله مختصره عن مسائل مهمه ، كثير فيها
الحلال من طلبه العلم ، منها مساله الاستواء المستفادة من قوله
عزى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، ومنها قضايا تتعلق
بتوحيد الأنويعه والربوبية والأسماء والصفات ، وبعضها يتعلق بمقاء
الخلق والمخلوق ، والمجاز العقلي في هذا الباب ، وما ينبغي اعتقاده
فيه من غير تأويل الجاهلين أو انتحال المبطلين أو تحريف الغالين .

سأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها ، وأن يجعلها خالصة
لوجه الكريم ، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا أتباعه ، وأن يرينا الباطل
باطلاً ويرزقنا احتنا به ، إنه سميع قدير ، وبالإحابة جدير .

وصلى الله وسلم على خاتم رسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

وكتبه الفقير إلى الله تعالى

محمد بن السيد علوي المالكي الحسني

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

عقائد أهل الحق

هي عقائد السلف الصالح

الحمد لله وحده ، لأن كماله سبحانه هو الكمال الذاتي المزد عن الحدود المطلق عن القيود ، وكل ما انصف به سواء من علم وحياة وسمع وبصر وكلام ، وغير ذلك من صفات حسي الوجود منحه سبحانه لمنعصر سبحانه وهو مالكها والمنصرف فيها ، وكل كمال في الوجود فهو كماله ، ملك له سبحانه ، وإذا كان الخط الجميل والصنعة المتقنة رصقه بلسان حلها بمهارة الكاتب والصانع وبراعته ، فكل ما في بوجوه ألسنة حمد تنطق بحكمة البديع عر شأنه وعلمه وقدرته ، فلا يستحق الحمد على الحقيقة سواء ، لأن غيره ليس له الكمال الذاتي ، وليس مصدراً للكمال ولا منعماً ولا مدبراً .

وكل من تشرف بنعمته ، توجه عليه توجهاً ذاتياً شكر المنعم عز شأنه والشكر يتضمن الاعتراف للمنعم بالكمال والإنعام والمنة ، وذلك يقتضي استعمال نعمه في مراضيه ، فإن استعمالها في مساخطه كفران بحق المنعم والنعمة ويتضمن الشكر العظيم والمحبة ، وهما مراتب أعلاها العبادة ، ولا يستحقها إلا المنعم الأعلى سبحانه ، لا شيء إلا لأنه المنعم الحق . قال تعالى . ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد

حبا لله ﴿ . فلم ينف عن المؤمن أن يحب أحب الله فيه بقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ ، وإنما المسوع أن يتغالى في حبهم إلى أعلى المراتب ، فيسوي بين الله وبين خلقه في أعلى مرتبة التي هي حق الله وحده . لأنه لا يستحق الحب الأعلى والرغبة العليا والرهبة العليا سواه

وحب العبد لربه . حالفه ومشئته . هو حب له لذاته سبحانه ، وحده لأحب الله . إنما هو الحب لله لهم لا لذواتهم ، ولو لم يحبهم الحق لما أحسنهم

وهذا امتياز العبادة عما دونها من المحبة والتعظيم ، فإن الفرق التاسع بين التعظيم الذاتي وغير الذاتي ، والحب الذاتي وغير الذاتي ومن تقرب إلى الله بعبادة غيره في قوله تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ . لم يقولوا ما نحبههم لله أو ما نعظمهم لله . ولو تقربوا إلى الله بمحبتهم أو تعظيمهم - وكانوا أهلاً لذلك - لكان ذلك قربي حقيقة ، ولكن تقربوا إلى الله بمحبتهم المحبة العليا وتعظيمهم التعظيم الأعلى ، وذلك خاص بالمنعم الأعلى ، وتلك هي العبادة لا مطلق تعظيم ولا مطلق محبة ، وهذا في نفسه شرك لأنه مساواة لله بخلقه فيما هو حق الله وحده ، وإن جردوهم عن التأثير والخلق والتدبير . لأن مساواة الحق بغيره في التعظيم وحبه كحبه كفر صريح ، فقد تقربوا إلى الله بكفر لا بجائز .

وقد ضل قوم نسبوا نعمة الحق لبعض خلقه ، فاتخذوهم أرباباً ، وكذلك من اعتقد فيهم التأثير الذاتي أو العلم الذاتي أو حق التشريع من تحليل وتحريم ، قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه ، وحرموا عليهم الحلال فحرموه ، كما جاء عن المصطفى ﷺ .

ومن وصف الخالق بصفة المخلوق فهو مشرك ، وذلك كمن يعتقد فيه برك وبعالى أنه حسد ذو طول وعمق وارتفاع أو نسب إليه الاتحاد بالخلق أو الحلول

ويتحمل الدرس لا يفقهون أن كل موجود جسم ، إما من جماد أو هو ، أو سور إلى غير ذلك . وتلك أوهام باطلة يردّها الدليل ، والذي تفرّد عقول والدليل ، وحاءت الرسل بتحقيقه : أن الحق عز وحل منزّه عن متاهة الحوادث .

ولا فرق بين من يتخيل حسماً يعبده ، وبين من يعبد صنماً من حجر أو حشب أو معدن ، ولا خلاف بين أهل الحق في أن المجسم حاهل بربه كافر به . وما نسب للحق عز شأنه من مجيء ونزول واستواء ، فبدهي أنه ليس نزول الأجساد ، ولا مجيئها ولا استواءها ، وإنما هي أمور تليق بالمنزه عن الشبه والأمثال . قال تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ .

وقال تبارك وتعالى . ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴿ فواضح أن الاستواء كان بعد خلق السموات والأرض . وانظر معنى ﴿ ثم ﴾ فهو فعل إلهي منزّه عن أن يشبه ما هو من الخلق .

وصفات الحق الذاتية أزلية : فالعلم أزلي ، والقدرة والإرادة أزليان ، وكل ذلك ثابت قبل الخلق مبرهاً عن أن يحدث ما من ومكان .

وكما أن الفعل إذا نسب للحق تجرد عن الزمان لأنه سبحانه منزّه عن الزمان . فعلمه تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِيَدِهِ الْمَوْتُ وَلَا تَرِيدُكُمْ نَعْمَ ﴾ لا يغيره الحال ولا الاستقبال ، كما هو الشأن في المعارف . إذ نسب لرمسى فهي إرادة مطلقة أزلية أبدية . وكذلك ﴿ وكان الله عني كرسيء قديرا ﴾ . لا يتقيد بزمان ، كان ولم يزل .

وقد قال تعالى في طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَرَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ . فالبسطة كلمة واحدة ، وإذا أضيفت للجسم كنت جسمانية تقاس بالطول والعرض والسّمك ، وإذا أضيفت للعلم الذي هو معنى غير جسماني كانت بما يناسبه فلا تقاس بالمعيار الجسماني

وإذا كان هذا في الحوادث ، فما نسب للحق وجب أن يكون منزّها عن كل شبه بالحوادث ، لأن ذلك شأن الذات العلية المقدسة .

وكذلك الظرف إذا نسب للبارئ عز شأنه تجرد عن الظرفية ، لأن ذاته عز وجل منزّهة عن الظرفية ، ولا تليق بها ، وكان معناه بما

يناسب الحق المنزه عن المثل والشبيه .

فقلوه تعالى ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ مجرد نسبة
﴿ فِي ﴾ للحق والى منها الظرفية وكذلك (على) ، (مع)
إلح

ونزول الجسم ومحسسه إنما يكون بالانفعال اللاتق بالأحسام . ونزول
من ليس بحسه يستحيل أن يكون النزول المعروف من الأحسام ، وإنما
هو نزول إلهي منزله عن الانفعال والمثل ، كما أن الذات تعال وتقدس
عن المثل

وفي الرسالة القشيرية : « قربه كرامته ، وبعده إهانتة ، علوه من
غير توكل ، ومجيئه من غير تنقل » . من غير توكل - لا ثقله -
لا يحمله حامل .

وكما أن أهل السُّنة لا خلاف بينهم في أن اليد في قوله تعالى :
﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ . هي غير الجارحة المعلومة . وكذلك الساق
والأصبع ونحو ذلك . فهي غير اليد التي نعرفها والساق التي نعرفها
والأصبع التي نعرفها ، فيجب أن نقول : نزوله ومجيئه واستواؤه غير
النزول المعروف في الأحساد - ومجيئها واستوائها .

ومن أثبت للحق النزول والمجيء والاستواء الجسماني فقد ضل .
وقد آمن أهل الحق بالنزول والمجيء الإلهي المنزه عن صفات الأجسام
وسمات الحدوث ، وكفروا بالنزول والمجيء الجسماني بالانتقال من
مكان إلى مكان .

وَأَمَنُوا بِالْإِسْتِوَاءِ ، الإلهي على العرش ، وكفروا بِالْإِسْتِوَاءِ المعروف
من الأجسام . لأن الاستواء ، المعروف من الأجسام مكيف ، أما الاستواء
الإلهي فإنه غير مكيف .

وهذه هي الطريقة السلفية الصحيحة التي كان عليها حكم الاله
من الصحابة والتابعين

أما من أسس بالانساب إلى السلف ، وهو ثبتت الجسمية للحق
سواء عن أمر أو غير أمر ، أو شكك فيها فبقول لا نقول جسماً
أو تسر جسمه فهو منسبه للحق ببارك وتعالى بتجويز الجسمية
عنه وهذا دعاو ظاهر

و بخلاف الحقيقى بيننا وبين المشبهين ، هو في إثبات الجسم
وعيه فبر الموحود إما أن تجوز عليه الجسمية ، أو لا تجوز .
ومستحيل أن يتجرد عن الأمرين أو يثبت له الأمران فتجوز عليه
الجسمية ولا تجوز . ولا بد من واحد منهما ، فلا يسع أولئك القوم إلا
أمر من ثلاثة أمور :

* إما أن يثبتوا له سبحانه الجسمية .

* أو ينفوها عنه .

* أو يقفوا موقف الشك .

فيعدوا فيمن يجوز الجسمية عليه . ولا فرق بين من جوزها عليه

سبحانه وبين من أثبتتها له . فالكل من الضالين الذين أشركوا بربهم
تبارك وتعالى ، حث وصفوه بصفه الحادث المحدود .

والذي عليه أهل الحق أنهم حرموا وامسوا أنه لا يجوز بوجه من
الوحد أن يكون الأحد سبحانه فرداً من أفراد كلي فشمله حد الجسم
أو غيره من المخلوقات . سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً
كبيراً

ومن أمر رَأَى الحق ممره عن الجسمنة أسقط من خياله جميع لوازمه
الجسمنة . ومن لم يفعل فما زال في إيمانه بقية من الضلال

كان الله ولم يكن شيء غيره :

وكل ما سوى الحق مخلوق حادث بعد أن لم يكن . قال تعالى :
﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

ومهما تصور العقل امتداد سلسلة الحوادث في الماضي فحيث كل
منها مسبوق بالعدم ، فالسلسلة كلها مسبوقة بالعدم ، ولا بد من تقدم
موجودها عليها جميعاً ، في مجموعها وعلى كل فرد منها ، تقدماً
ذاتياً منزهاً عن الزمان .

وقد صح عنه عليه السلام من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه
« كان الله ولم يكن شيء غيره » . « كان الله ولا شيء معه » .
« كان الله ولم يكن شيء قبله » . وهذه روايات الصحيحين والسنن .

وحيث إن الروايات إذا رويت بالمعنى اتحدت فيه ، فلا بد أن ترمي إلى معنى واحد وتدور عليه ، وإن اختلفت ألفاظها ، ورواية « ولم يكن شيء قبله » تحتمل وجهين ، أحدهما مطابق للروايات الأخرى فإنه إذا لم يكن شيء معه لا يكون قبله فلا يصح عامباً الأخذ بالوجه الآخر لمخالفة الروايات الصحيحة .

ومن أسدل برواية (أنت الأول فليس قبلك شيء) فقد أبعد ، فإن هذه الرواية تحتمل الوجهين أبداً ، ولا يصح تأييد المحتمل بالمحتمل . على أنها لا تتنافى مع الروايات الصحيحة كما تقدم ، فيجب حملها على الوجه المطابق لها ، وإنما يحكم بالصريح على المحتمل .

ورواية الإمام أحمد في مسنده « كان الله قبل كل شيء » .

ومن أخذ بأحد الوجهين من محتمل وترك ما لا يحتمل من الروايات ، فقد خالف الأصول العلمية ، وأقام الدليل على أنه متبع للنهوى ، وسلك مسلك أصحاب الزيغ الذين يأخذون بوجه مرجوح من نص محتمل ، ويتركون النص الذي لا إبهام فيه ولا احتمال ، والذي يعين المراد وينفي الإحتمال المرجوح .

وهذا إذا لم يكن هناك مصدر للحديث غير الصحابي الذي نقلت عنه هذه الروايات ، فكيف وللحديث مصدر آخر صريح لا يحتمل إلا وجهاً واحداً .

ففي رواية بريدة رضي الله عنه (كان الله ولا شيء غيره) أخرجه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبه . وهذا يعين المراد ويرفع ما توهمه المخطئون والمبتدعون ، ولا تردد في ذلك عند من بحث الحديث مقدماً ما جاء به المصطفى ﷺ على الهوى . ولم يلعب بالحديث ويتبع المتشابه ويترك المحكم الصريح . نعوذ بالله من الهوى ونسأل الله العفو والعافية .

والواضح في هذه الروايات جميعها - وهو الأمر المقطوع به - أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قد فهموا من حديثه ﷺ أموراً : أن الله سبحانه خالق كل شيء ، وأنه تبارك وتعالى كان قبل كل شيء ، ولم يكن شيء غيره ؛ وكان ولا شيء معه ، ولم يرد عن أي صحابي ما يتناقى ذلك صريحاً بأي وجه من الوجوه ، وفهمهم رضي الله عنهم حجة على غيرهم ، وقد سمعوا قوله الشريف ﷺ كفاحاً ووعوه وعقلوه وهم الأمتاء .

وعلى هذا كان السلف الصالح من خير القرون .

وعن أبي رزين العقيلي قال : قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق ؟ قال : « كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء » ، رواه الترمذي بسند حسن ، وقال : قال أحمد قال يزيد : العماء أي ليس معه شيء ، وحسبك بالترمذي والإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ، وشيخه يزيد بن هارون حجة .

وفي رواية الإمام أحمد (ثم خلق العرش بعد ذلك) . وفي هذا
بيان لمعنى (وكان عرشه على الماء) فالعرش والماء مخلوقان ، والقدرة
صالحة لخلق العرش والماء والهواء في آن واحد .

وقد نسق لك بهذا الحق الواضح التسع عقلاً ونقلات

فهذا هو دس السلف الصالح حصصاً ، وما عداه دس الضالين
السفهاء ، وماذا بعد الحق إلا الضلال .

وقد أريد بما حذره عن الله على مراد الله عز وجل ، وإيماناً بما جاء
عن الرسول ﷺ وهو الذي يلبق بالمتزهد عن الجسمانية قطعاً ، لا على
مراد الخدع والنصورات والأوهام

وكل ما حذر بهالك ، من تصور للذات العلية فهو هالك ، والله
يخلاف ذلك

وليس للإنسان أن يذهب في تصور الذات العلية المذهب الخاطيء ،
حيث يقصر الخالق على المخلوق ، مع علمه بأنه المنزه الذي ليس له
مثيل .

على أن الحق قريب وهو ثابت في فطر العقلاء ، ومن اليسير أن
ينتبه المؤمن له وي طرح الخيالات والأوهام الباطلة ، فإن كل مؤمن
صحيح الإيمان يوقن بأن الحق هو خالق المكان والزمان وسائر الأكوان ،
وأن وجوده سبحانه سابق على وجودها ، وأنه عز شأنه كان ولا زمان

ولا مكان ، وأنه سبحانه بعد خلق الزمان والمكان والأكوان لا يزال على ما عليه كان ، لم يتغير ولم يتبدل منزهاً عن الزمان والمكان والأكوان .

وقد تقدم لك أن انفراد الحق عز شأنه بالوجود قبل خلق المخلوقات من أمكنة وأزمنة وجهات ومكاني وزماني هو عقيدة أصحاب رسول الله ﷺ وسائر السلف الصالح ، وهو الذي يثبت العقل البرهاني ، وما سواه دخل لا سد له من عقل ولا نقل فلا يلتفت إليه .

أما كيف خلق الله الخلق فقد قال تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴾ والعبرة بعموم اللفظ الإلهي الأقدس ، والإيجاد والإمداد شأنه سبحانه ، والله على كل شيء قدير .

وكما أن الإنسان إذا أراد شيئاً في مملكته الخاصة كان ، فإرادتك في مملكك الخاصة مثل مصغر ، يكفي لإقامة الحجة عليك في الإيمان بنشوء إرادة المشرّد بالكمال المطلق سبحانه في عوالم الإمكان ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدَأُ الْمَلَكُوتَ كُلَّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

الأحادية والكلام والقدر :

هو الأحاد سبحانه لا يشارك في أحديته - في ذاته وصفاته وفعله - لا يعلم كنهه غيره ، وإذا كان المحدود لا يدرك ما هو أوسع منه حداً ، فكيف يدرك غير المحدود ؟ قال تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾

وقال : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ . وصح عنه ﷺ رؤية المؤمنين لربهم عز وجل ، والإدراك المنفي غير الرؤية المشبهة فيصح أن يراه ولكن لا يحيط به ، وهي غير الرؤية المقتضية للجسمية أو الحدوث ، وقد آمننا بأن قول الله حق وقول رسوله حق على الوجه الذي يليق بكماله الأقدس عز وجل لا تشبيه ولا تكييف ، سبحانه أنت كما أثبت على نفسك لا ندسى ثناءً عليك .

وكلامه عز وجل حق ، ومذهب السادة الصوفية فيه مذهب السلف الصالح أنه قد ربه غير مخلوق ، ومن زعم أنه حادث يشترك مع الحوادث في الحدوث فهو صال مخالف لمذهب السلف . وفتنة القول بخلق القرآن - التي حمل رأيها ابن أبي دؤاد - ثابتة ، ولا يشك عاقل في أن الإمام أحمد ضرب ليقول بقوله فلم يقل ، وقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ ﴾ فهو محدث بالنسبة لهم لم يعلموه من قبل ولم يعرفوا مثله عن آبائهم ، ومن زعم أنه محدث بالنسبة للذات العلية فقد خاب وخسر . ويسأل بعض من لا يفقه : كيف يحكي الحق قول أناس قبل وجودهم ؟ والجواب عن ذلك يسير .

ألم يثبت في الصحيح أن القلم كتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ؟

أفلم يكن ما سيخاطب الله به موسى والأنبياء مكتوباً قبل هذه النشأة الإنسانية ؟ لا شك أن ذلك كان موجوداً في عالم الظهور في

اللوح ، وكان قبل ذلك في الغيب الذي لا يعلمه إلا الله في البطون ،
وسلمنا علم كنهه لله .

أما القدر فإيمانهم فيه إيمان الصحابة رضوان الله عليهم لا يبطلون
حجة الله على خلقه ، فالتكليف حق ، وقد أجمعت الأمة الإسلامية من
حبرية ومعتزلة وأهل السنة على ذلك ولم يسقط التكليف - بشروطه
المعروفة في الشريعة المطهرة - إلا الملحدون الإباحية الخارجون عن
الإسلام والعدو والإزادة والعدو لا شك في مطابقتها للعلم الأزلي .
ولا تنافي بين الإحاطة بالعلم والتكليف عند الجميع ، وإذا كان خلاف
الأمة الإسلامية بجميع طوائفها لم ينهال التكليف نفسه ، وإنما ينصب
على سبب التكليف : فالخلاف في حقيقته إذا ليس بذی بال ، فإن من
وقف على سبب التكليف يتيقن فسيعلم أنه مكلف ، وأن التكليف
حق ، وسيعمل على ذلك الأساس ، ولا يضر إن كان سببه هذا
أو ذاك

وحيث إن الأمة قد أجمعت على التكليف ، فلا شك أن من آمن به
وجهل سببه فهو ناج عند الجميع ، ونرد إلى العلم الإحاطي سر التوفيق
بين ما قصر علمنا عنه ، ولا خلاف بين العلماء أنه من الممكن أن يكون
هناك من الحقائق ما إذا اطلعنا عليه أقمنا الحجة على أنفسنا بوجه من
الوجود الممكنة ، والعقل النزيه لا يجعل ذلك في حيز المستحيلات .
وفوق كل ذي علم عليم ^(١) .

(١) أهل الحق العارفون بالله لشيخنا العارف المرشد السيد محمد الحافظ بن عبد اللطيف
التجاني المصري

الرحمن على العرش استوى

والفوقية العرشية لم ترد

أما بالله ، وبما جاء عن الله على مراد الله من غير تكيف ولا تمثيل ولا تعطيل ﴿ لَسْ كَمِثْلُهُ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ هذه هي عقيدة السلف ، وهذا هو الذي يجب أن نواحه به العسوس الواردة في الكتب والسنة المنطهره دور رباده أو نقصان ، ولكن بعض من يدعى الالتزام بذلك يرد من عبده وباحجهاده ورأسه وهواه لفظ : « وإن الله مسير فوق العرش » .

وهذا اللفظ بضمه هكذا لم يرد في القرآن ولا في السنة الصحيحة . وإن ورد لفظ الاستواء ، ولفظ الاستواء ليس خاصاً بالعرش بل ورد في غيره كقوله : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ولقوله (بأن الله فوق العرش) يحتمل معانٍ متعددة منها ما هو كفر صريح ومنها ما هو إيمان صحيح ، لأنه إن أراد بذلك التجسيم والإحاطة المكانية والتشبيه بفوقية المخلوقات والحادثات التي توصف بالفوقية كما يقول القائل : جلست فوق الكرسي أو على الكرسي ، فإن أراد القائل بفوقية العرش هذه الفوقية التي تفيد التجسيم والتشبيه والنسبة المكانية والزمانية فهو كفر صريح كما يدل عليه

القرآن الكريم من قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
 وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
 كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ وإن أراد بهذه الفوقية الرتبة والمقام والعلو كما يؤوله
 البعض أو أراد فوقية لانفقه بمقام الله حل حلاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾
 وهو السميع البصير ﴿ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل كما
 بقوله البعض الآخر ، فلا شك في أنه الإيمان الصحيح الذي قرره أئمة
 السلف الصالح زعمي الله عنهم ، والحاصل أن وصف الرحمن بأنه
 (فوق العرش) مع كونه غير وارد بهذا اللفظ في القرآن أو في السنة
 الصحيحة المنقولة عنها ولا يصح وصف الله سبحانه وتعالى إلا بما جاء
 عنه - نصر نصحيح الثابت لا بالاجتهاد ولا بالاستنباط .

أقول : هذا الوصف مع أنه لم يرد فإنه يعطي احتمالات متعددة ؛
 فمنها : احتمال الكفر إذا أراد به التجسيم ، ومنها احتمال الإيمان إذا
 أراد به المعنى الوارد .

ولكن صدور هذا الوصف من مؤمن موحد يوجب علينا أن نحمله
 على معناه الإيماني الصحيح ، ومثله لفظ : (الله موجود في كل
 مكان) فهو مع كونه أيضاً يعطي نفس الاحتمالات المتعددة لكن
 صدوره من مؤمن موحد يوجب علينا حمله على أقرب معانيه إلى
 التوحيد تحسناً للظن بالمسلمين ، فكيف بمن يبادر ويتسرع إلى الحكم
 بالكفر والإخراج عن الإسلام ، ولا شك عندنا في أن المتكلم بهذا

الكلام وغيره من عوام المسلمين الذين يرد هذا اللفظ على ألسنتهم لا
نفع في تصورهم أبداً المعنى الكفري والمفهوم الشركي الذي قد يحتمله
اللفظ ، بل المقصود منه المعنى العام الذي يتصوره من يقول بالمعنة
الإلهية وهي معية العلم الحفظ والنصر والتأييد

الاستواء بالاستقرار :

ولا يصح الرضا على هذه الاستواء ، باحتماد أو استعانة ، بل
يجب الاكتفاء بما ورد في النص من رضاه أو نقص لأن الموضوع لا
يدخل فيه لعنر والنصر ، وإما موقف العمل هو التسليم ، الإيمان بما جاء
كما جاء ، كما في الإيماء الشافعي ، وهو من كبار أئمة السلف :
« أم ربه وحده عن الله على مراد الله من غير تشبيه ولا تعطيل
ولا تمثيل ولا تكيف » نيس كمثله شيء وهو السميع البصير .

قد ائتم الحرمين - رحمه الله تعالى - : أجمع المسلمون على منع
تقدير صفة مجتهد فيها لله عز وجل لا يتوصل فيها إلى قطع بعقل أو
سمع ، وأجمع المحققون على أن الظواهر يصح تخصيصها أو تركها بما
لا يقطع به من أخبار الأحاد والأقيسة ، وما يترك بما لا يقطع به كيف
يقطع به ؟ . (أنظر التعليق على السيف الصقيل في الرد على ابن
زفيل للسبكي ص ٥٨) .

وما نسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله

عالي ﴿ استوى على العرش ﴾ ، استقر على العرش وقد امتلأ به
أو صعد إليه أو استوت عنده الخلاق وما إلى ذلك ، فذلك من رواية
أبي صالح ومحمد بن مروان الكلبي ، قال البيهقي : كلهم متروك عند
أهل العلم بالحديث لا يحتجون بشيء من رواياتهم لكثرة المناكير فيها
وظهور الكذب منهم في رواياتهم قال علي بن المديني : سمعت
رحمى بن سعيد القطان يحدث عن سفيان قال قال الكلبي : قال لي
أبو صالح كل ما حدثك كذب ، عن سفيان عن الكلبي قال : قال
لي أبو صالح اسطر كل شيء ، رواه عيسى عن ابن عباس رضي الله
عنه ولا يروى

وقد روى بن معين : الكلبي ليس بشيء . وقال الإمام
سحري : محمد بن مروان الكلبي الكوفي صاحب الكلبي سكتوا عنه
ولا يكتب حديثه ألبتة .

قلت : وكيف يجوز أن تكون مثل هذه الأقاويل صحيحة عن ابن
عباس رضي الله عنهما ثم لا يرويهما ولا يعرفها أحد من أصحابه
الأثبات مع شدة الحاجة إلى معرفتها (الأسماء والصفات مع حذف
يسير اختصاراً ص ٤١٣ - ٤١٥) .

قال التابعي الجليل الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في كتابه
(الوصية) : نقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن
يكون له حاجة واستقرار عليه ، وهو حافظ العرش وغير العرش من

غير احتياج . اهـ . (الوصية وشرحها مطبوعة مع الفقه الأكبر والإبانة وغيرها معاً {ص ٦٢}) .

الاستواء وزيادة لفظ الذات :

كذلك يجب الالتزام بالوارد في سفة الاستواء دون زيادة لفظ (بذاته) فقد سمعنا بعضهم يقول بغير دليل من الكتاب والسنة : إن الله تعالى استوى رده فوق العرش ، بدلاً من (استوى على العرش) الثابت ببعض النماز الكريمة ، وإن الله بائن من خلقه ، ولفظ : بائن من خلقه ، لم يرد في كتاب ولا سنة ، وإنما أطلقه من أطلقه من السلف بمعنى نفى المسارحة رداً على جهلهم وأتباعه الجهمية لا بمعنى الابتعاد بالمسافة ، تعالى الله عن ذلك ، كما صرح بذلك في الأسماء والصفات ص ٤١٠ .

وأما لفظ (فوق العرش) فلم يرد مرفوعاً إلا في بعض طرق حديث الأوعال من رواية ابن منده في التوحيد ، وفي سننه عبد الله بن عميرة مجهول الحال ، ولم يدرك الأحنف فضلاً عن العباس . (انظر التعليق على السيف الصقيل للسبكي ص ٤٧) .

وقال السلفي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في مقدمة مختصر كتاب العلو للإمام الذهبي - بعد كلام - ومن هذا العرض تبين أن هاتين اللفظتين (بذاته - بائن) لم تكونا معروفتين في عهد

الصحابة رضوان الله عليهم . ولا في عهد التابعين فإطلاقهما حينئذ
محدث .

قلت : ولا في عهد التابعين ولكن لما ابتدع الجهم وأتباعه القول
بأن الله في كل مكان ، اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأئمة
الأعلام بلفظ (بئس) دون أن تذكره أحد منهم . أهـ ص ١٨ .

قلت لقد رأى أولئك ودون دليل أن سبل الرد على الجهم
الذي حكم عليه بالكفر وصل عليه والحمد لله - هو التلفظ بما يوهم
التشبه والتجسيم في حق الله تعالى والحلول في مكان فقالوا : مستوي
به ورائه عن حلقه فدفعوا بعطيل الجهم وتأويله بشي . قريب غير
بعده عن حيث اللفظ من تجسيم محمد بن كرام السجستاني حتى
ظهروا كهم أولياء على الله تعالى يضيفون إليه ما شاءوا من الألقاب
حرصاً على التوحيد ، ألا ليتهم سكتوا أو نزّهوا وفوضوا كما فعل
السلف .

قال الإمام التابعي الجليل أبو حنيفة رحمه الله تعالى : لا ينبغي
لأحد أن ينطق في الله تعالى بشيء من ذاته ولكن يصفه بما وصف
سبحانه به نفسه ، ولا يقول فيه برأيه شيئاً . (إيضاح الدليل ص ٤٤
- ٤٥) .

قال الشيخ الإمام بدر الدين بن جماعة : إذا ثبت ذلك فمن جعل
الاستواء في حقه ما يفهم من صفات المحدثين ، وقال : استوى بذاته ،

أو قال : استوى حقيقة . فقد ابتدع بهذه الزيادة التي لم تثبت في
السنة ولا عن أحد من الأئمة المقتدى بهم ، وزاد بعض المتأخرين فقال :
الاستواء محاسنه الذات ، وأنه على عرشه ما ملأه ، وأنه لا يد لذاته من
نهاية يعلمها ، وقال آخر : يختص بمكان دون مكان ، ومكانه وجود
ذاته على عرشه ، قال : والأشبه أنه مناس للعرش ، والكرسي موضع
قدميه . وقال يحيى بن عمار : بل يقول هو بذاته على العرش ، وعلمه
محيط بكل شيء . قال الذهبي بعد نقله قول يحيى : قولك (بذاته)
من كيسك (انظر كتاب العلل الذهبي ص ١٧٨) .

وفي هذا ذكر طيات من كلام بعض المجسمة ، ولا حول ولا
قوة إلا بالله

قلت : وإمام أحمد بريء مما ينسب إليه من أمثال هذه
المنكرات ، فإن منقول عنه أنه كان لا يقول بالجهة للباري تعالى ،
وكان يقول : الاستواء صفة مسلمة ، وهو قول بعض السلف رضي الله
عنهم . وسئل أحمد عن الاستواء ، فقال : استوى على العرش كيف
شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف ، ذكره الخلال بسنده إليه
من كلامه . ([أهـ] إيضاح الدليل ١٠٨) .

العرش والنفوقية :

كذلك يجب الالتزام بالنص والتقييد بالوارد في صفة الاستواء ولا

يصح الزيادة عليها باجتهاد أو استنباط ، وكذلك يجب الاكتفاء والتقييد بما ورد في النص دون زيادة من نص آخر غير صحيح . مما لا تثبت به الأحكام من الحلال والحرام ، فضلاً عن العقائد التي هي أشد خطراً وأعظم رتبة ، فكيف بمن يثبت أموراً في هذا الباب بأحاديث مختلف فيها بين العلماء ، كمن يزيد لفظ (الفوقية على العرش في صفة الاستواء) ، فيقول بأنه فوق العرش مع أن لفظ (فوق العرش) لم يرد مرفوعاً إلا في بعض طرق حديث الأوعال من رواية ابن منده في التوحيد ، وقد تقدم أن في سنده عبد الله بن عميرة وهو مجهول الحال ، ولم يدرك الأحنف فضلاً عن العباس .

الاعتماد على الحديث الصحيح دون الضعيف في العقائد :

قال ابن الصلاح في (مقدمة في علوم الحديث) : يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى . وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما ، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال ، وسائر فنون الترغيب والترهيب ، وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد .

ومن رويناه عنه التنصيص على التساهل في نحو ذلك عبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما . (كذا في مقدمة ابن صلاح ص ٤٩) .

وقال الإمام النووي في التقريب : ويجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ، ورواية ما سوى الموضوع من الضعيف والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله تعالى والأحكام كالحلال والحرام ، وما لا يتعلق بالعقائد والأحكام . (كذا في تدريب الراوي شرح السيوطي على التقريب ج ١ / ص ٢٩٨) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل في الكلبى : يكتب عند هذه الأحاديث يعني المغازي ونحوها ، فإذا جاء الحلال والحرام أردنا قوماً هكذا ، يريد أقوى منه . قال البيهقي : فإذا كان لا يحتاج به في الحلال والحرام فأولى أن لا يحتاج به في صفات الله سبحانه وتعالى ، وإنما نقيموا عليه في روايته عن أهل الكتاب ثم عن ضعفاء الناس وتدليسه أساميهم . (كذا في الأسماء والصفات ص ٤١٨) .

ومن العجيب أننا نرى بعضهم ينكر على الناس أموراً يدعوى أنه لم يصح فيها حديث ، فلا يجوز العمل بها ولا الاعتماد عليها مع أن هذا الباب واسع . وللعلماء فيه نوع من التساهل فيما يسمى بالعمل بالحديث الضعيف حسب القواعد المعروفة المقررة في علم الأصول ، والمصيبة الكبرى أن هذا المنكر للعمل بالحديث الضعيف في أبواب الفضائل والمناقب والترغيب والترهيب الذي رخص فيه العلماء ، هذا المنكر لهذا الأمر المرخص فيه نراه يستدل في أبواب العقائد بأحاديث ضعيفة ومتكلم فيها ، كاستدلالهم بحديث الأوعال المتكلم فيه .

وهو في باب العقائد التي يمتنع العمل فيها اتفاقاً بالحديث الضعيف ،
بل لا بد فيها من الصحيح الثابت إن لم نقل المتواتر . فلا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم .

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا روينا في الحلال
والحرام شددنا . وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا .

وفي رواية عنه الأحاديث الرقائق بحمل أن تتساهل فيها حتى
يجيء شيء منه حكمه

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رضي الله عنه : إذا روينا عن
السبي ^{محمّد} في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا في
الرجال

وقال الإمام أبو زكريا العنبري : الخبر إذا ورد لم يحرم حلالاً ولم
يحلل حراماً ولم يوجب حكماً وكان في ترغيب وترهيب أغمض عنه
وتسهل في رواته . (الأجوبة الفاضلة للإمام اللكنوي ، ص ٣٦) .

وقال النووي في كتابه (الأذكار) : قال العلماء والفقهاء
وغيرهم : يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب
بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً ، وأما الأحكام كالحلال والحرام
والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك ، فلا يعمل فيها إلا بالحديث
الصحيح أو الحسن « اهـ .

وقال الحافظ العراقي في (شرح ألفيته) : أما غير الموضوع
فجوزوا التساهل في إسناده وروايته من غير بيان ضعفه إذا كان في
غير الأحكام والعقائد ، في الترغيب والترهيب من المواعظ والقصص
وفضائل الأعمال ونحوها ، وأما إذا كان في الأحكام الشرعية من
الحلال والحرام وغيرهما أو في العقائد كصفات الله تعالى وما يجوز
وما يستحيل عليه ونحو ذلك فلم يروا التساهل في ذلك ،

ومن نصّ على ذلك عن الأئمة عبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن
حنبل وعبد الله بن المبارك وغيرهم ، وقد عقد ابن عدي في (مقدمة
الكامل) والخطيب في (الكفاية) باباً لذلك « ا هـ (ج ٢
ص ٢٩١) .

تحقيق مهم في قول الإمام مالك عن الاستواء :

وقد نقل الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه العظيم
« الأسماء والصفات » (ص ١٥٠) نصوصاً متعددة تبين موقف
الإمام مالك من مسألة الاستواء ، ومالك هو إمام أهل السنة والجماعة
وعالم المدينة وأمير المؤمنين في الحديث .

فمنها ما رواه ابن وهب قال : كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل
فقال : يا أبا عبد الله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كيف
استواؤه ؟ قال : فأطرق مالك ، وأخذته الرحضاء ، ثم رفع رأسه

فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال كيف .
وكيف عنه مرفوع . وأنت رجل سوء صاحب بدعة ، أخرجوه ، قال :
فأخرج الرجل .

ومنها ما رواه يحيى بن يحيى قال : كما عند مالك بن أنس فجاء
رجل فقال يا أبا عبد الله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فكيف
استوى ؟ قال : فأطرق مالك حتى علاه الرقصاء . ثم قال : الاستواء
غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه
بدعة ، وما أراك إلا مبذعاً ، فأمر به أن يخرج . وروى في ذلك أيضاً
عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أستاذ مالك بن أنس رضي الله عنهما .
وروى في ذلك أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها رواه اللالكائي .

قال الحافظ العبدري في (دليله : ص : ٣٦) : وأما ما رواه
اللايكاني عن أم سلمة رضي الله عنها وربيعه بن عبد الرحمن أنهما
قالا : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول فمرادهما بقولهما :
غير مجهول أنه معلوم وروده في القرآن ، بدليل رواية عند اللالكائي ،
وهي : (الاستواء مذكور) أي مذكور في القرآن . وهذا مراد مالك بما
روى ولم يثبت عنه الاستواء معلوم كما هو شائع وذائع على الألسنة ،
ولو ثبت لكان مراده ما قلناه وهو أنه مذكور في القرآن ، وأما ما
يروى عنه أنه قال : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة فهذا لم يثبت
عن مالك ولا غيره من الأئمة رواية فلا اعتداد به .

جملة من أقوال السلف في الصفات :

قال محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة الثاني رحمه الله تعالى : اتفق الفقهاء ، كلهم من الشرق إلى الغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه ، وقال : ما وصف الله تعالى به نفسه فقراءته تفسيره ، ذكره اللالكائي في (شرح السنة) .

وذكر البيهقي بسنده إلى إسحاق بن موسى الأنصاري قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : ما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه في كتابه فقراءته تفسيره ليس لأحد أن يفسره بالعربية ولا بالفارسية ، ولما سئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن حديث الرؤية والنزول ونحو ذلك قال : تؤمن بها وتصدق بها ولا كيف ولا معنى ، (شرح السنة) للالكائي .

قال عبد الملك بن وهب : كنا عند مالك بن أنس رحمه الله تعالى فدخل عليه رجل فقال : يا أبا عبد الله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استواؤه ؟ قال : فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ . كما وصف نفسه ، ولا يقال كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت رجل سوء صاحب بدعة ، أخرجوه .

وفي لفظ له رحمه الله تعالى بطريق يحيى بن يحيى : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة

وما أراك إلا مبتدعاً ، فأمر به فأخرج .

وروي ذلك عن ربعة الرأي أستاذ مالك رحمهما الله تعالى فقال
عبد الله بن صالح بن مسلم : سئل ربعة الرأي عن قول الله تبارك
وتعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى ؟ قال :
الكيف مجهول والاستواء غير معقول ، ويجب علي وعليك الإيمان
بذلك كله .

قال البيهقي : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ قال : هذه نسخة
الكتاب الذي أملاه الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب في
مذهب أهل السنة فيما جرى بين محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وبين
أصحابه فذكرها وذكر فيها ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ بلا
كيف ، والآثار عن السلف في هذا كثيرة ، وعلى هذه الطريقة يدل
مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، وإليها ذهب أحمد بن حنبل والحسين
بن الفضل البجلي ، ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي .. إلخ .

وقال الإمام البغوي في (شرح السنة) : أهل السنة يقولون ،
الاستواء على العرش صفة لله تعالى ، بلا كيف ، يجب على الرجل
الإيمان به ، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل ، وذكر خبر الإمام مالك
رحمه الله تعالى .

سئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في حديث النزول فقال :
ينزل بلا كيف (كذا في الأسماء والصفات ص ٤٥٦ إيضاح الدليل
ص ٤٠) .

أعظم دليل على صحة التأويل

ونورد هنا حديثاً صحيحاً هو أكبر حجة على صحة التأويل ، وأن قول من يقول بأن التأويل باطل هكذا بالإطلاق هو أبطل الباطل بل لابد من التفصيل وبيان أن بعض المفسرين قد أولها العلماء ، وسواها معار يخالف ظاهر ما يدل عليه ، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ بنفسه حيث قال

« يقول الله عز وجل : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدني ، فيقول : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعدّه ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ، فيقول : يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، فيقول : أي رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ فيقول تبارك وتعالى : أما علمت أن عبدي فلاناً استسقاك فلم تسقه ؟ أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ؟ قال : ويقول عز وجل يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، فيقول : أي رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول أما علمت أن عبدي فلاناً استطعمك فلم تطعمه ؟ أما أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي » لفظ حديث الأشييب ، وفي رواية زيد بن الحباب « فلو عدته لوجدت ذلك عندي » وبمعناه قال في باقي الحديث ، أخرجه

مسلم في الصحيح من حديث بهز بن أسد عن حماد ، وفيه أن ذلك
يقوله يوم القيامة .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : واستفسار هذا العبد ما أشكل
عليه دليل على إباحة سؤال من لا يعلم من يعلم ، حتى يقف على
المشكل من الألفاظ إذا أمكن الوصول إلى معرفته ، وفيه دليل على
أن اللفظ قد يرد مطلقاً والمراد به غير ما يدل عليه ظاهره ، فإنه أطلق
المرض والاستسقاء والاستنطعام على التمسك والمراد به ولي من أوليائه ،
وهو كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا أَجْرَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ
وِرَسُولَهُ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ،
وقوله : ﴿ إِنْ تَنَصَرُوا لِلَّهِ يَتَنَصَّرْكُمْ ﴾ والمراد بجميع ذلك
أوليائه ، وقوله : ﴿ لَوْ جَدْتَنِي عِنْدَهُ ﴾ أي وجدت رحمتي وثوابي
عنده ، ومثله قوله عز وجل : ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَ حِسَابِهِ ﴾
أي وجد حسابه وعقابه اهـ (الأسماء والصفات ١ / ٣٥٠) .

ابن تيمية والتأويل

وقد نقل الشيخ ابن تيمية الذي يتبجح أدعاء السلف باتباعه في إبطال التأويل والمجاز عن السلف بأوبلاط كثيرة مصرف فيها اللفظ عن ظاهره ومن ذلك

معبة الله وقربه من خلقه .

فقد حكى ابن تيمية في معبة الله وقربه أربعة مذاهب ، وأرجحى منها مذهباً واحداً هو المذهب الرابع ونسبه إلى سلف الأمة من أئمة الدين والعلم وشيوخ العلم والعباد كما يقول ابن تيمية نفسه : إنهم آمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة من غير تحريف للكلم وأثبتوا أن الله تعالى فوق سمواته وأنه على عرشه بائن من خلقه وهم بائون منه وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية (مجموع الفتاوى ٥ / ٢٣١) .

وبعد أن أسند هذا التأويل إلى السلف عموماً عاد فأسده إلى الإمام أحمد شيخ المذهب قال : إن حنبل بن إسحاق سأل الإمام أنا عبد الله عن قوله تعالى : ﴿ إلهو معهم أينما كانوا ﴾ فقال : علمه عالم الغيب والشهادة محيط بكل شيء .

إن لفظا المعية والقرب هنا مصروفان عن ظاهرهما ، والسر في هذا

الصرف هو نفي المماسسة الحسية .

وصفوة القول : أن ابن تيمية مقر بالتأويل المجازي وأن لم يسمه مجازاً ، وأنه اتخذ منه وسيلة للدفاع عن سلامة العقيدة وتبرئة ساحة كتاب الله العزيز من المطاعن

وقد حلل ابن تيمية خصوصاً شرعيه أخرى على هذا المنوال ، منها قول الخليل عليه السلام : (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس) . وقوله تعالى : ﴿ وما زادوهم غير تنبيي ﴾ . وقوله ﷻ : « أهلك الناس درهم والدينار ، وأهلك النساء الأحمران : الذهب والحرير » .

كل هذه النصوص حللها على أن إسناد الإضلال وزيادة التنبيي وإهلاك الناس والنساء إلى الأصنام والدرهم والدينار والذهب والحرير روعي فيها أن هذه المذكورات أسباب أما الفاعل الحقيقي فهو الله عز وجل .

ابن القيم والتأويل :

اعلم أن المجاز هو أساس التأويل وقاعدته وركيزته الكبرى وبابه الأعظم .

وقد أنكره الشيخ ابن القيم في كتابه (الصواعق المرسله) لكنه اعتمده وأقر به في مواضع متعددة من كتبه وشأنه في ذلك شأن شيخه

ابن تيمية الذي أقر بالمجاز تأويلاً وتصريحاً في مواضع مختلفة من مؤلفاته .

ومعنى هذا أن لابن القيم مذهبين في المجاز : مذهباً متعارفاً مشهوراً هو الإنكار ، ومذهباً غير مشهور هو الإقرار .

والإقرار بالمجاز عندنا هو عين التأويل لأنه صرف اللفظ عن ظاهره لأي سبب من الأسباب المجازية وهو التأويل .

قال الدكتور عبد العظيم المطعني : وكانت أدلتنا على إقرار الإمام ابن تيمية بالمجاز ثلاثة :

الأول : تأويلات مجازية نقلها عن بعض السلف ثم ارتضاها مذهباً له في نصوص قرآنية .

الثاني : تأويلات مجازية استأنفها هو استئنافاً من عند نفسه .

الثالث : ورود المجاز في حر كلامه مع الرضا به وأعماله في توجيه مشكلات نشأت عن صعوبة الأخذ بظواهر نصوص مقدسة كما اتخذ من المجاز وسيلة للدفاع عن الأئمة الأعلام ومواقفهم من الحديث النبوي الشريف وقد تقدم هذا كله في إيجاز : أما الإمام ابن القيم فلما على مذهب الإقرار بالمجاز عنده دليلان : إضافيان لا يتطرق إليهما شك ، وهما :

الأول : تأويلات مجازية مستفيضة وردت في كتبه غير

الصواعق

الثاني : ورد المحار صريحاً في حر كلامه وهو في هذين الدليلين

أطول راعاً وأكثر لهجاً من شيعه الإمام ابن تيمية رضي الله عنهما
وعلى هذا الأساس ندر الحديث

التأويلات المجازية :

تتبع التأويلات المجازية عند العلامة ابن القيم وأرجعنا كثيراً

منها إلى أصولها البلاغية فوجدناها مورعة على جميع أنواع المجاز ،
فكار منها :

تأويلات مجازية من قبيل المجاز العقلي .

وتأويلات مجازية من قبيل المجاز اللغوي المرسل .

وتأويلات مجازية من قبيل المجاز اللغوي الاستعاري (١) .

(١) المحار عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار ص ٢٤ للدكتور
عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى

الصفات تفسيرها السكوت عنها

تفسير السلف للصفات

وقد سئل ربيعة الرأي عن قول الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى ؟ قال : الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول ، ويجب علي وعلى الإيمان بذلك كله ، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخو نوري محمد بن يزيد ، سمعت أبا يحيى البزار يقول : سمعت أبا العباس ابن حمزة يقول : سمعت أحمد بن أبي الخوارى يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه .

قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ . قال شيخنا أبو العباس رحمه الله تعالى : متبعوا المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلباً للتشكيك في القرآن وإضلال العوام كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرآن ، أو طلباً لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره المجسمة ، حتى اعتقدوا أن الباري تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل وإصبع ، تعالى الله عن ذلك ، أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلها وإيضاح معانيها ، أو كما فعل صبيغ حين أكثر على عمر

فيه السؤال ، فهذه أربعة أقسام :

الأول : لا شك في كفرهم ، وأن حكم الله فيهم القتل من غير استتابة .

الثاني : الصحيح القول بكفرهم ، إذ لا فرق بينهم وبين عبادة الأصنام والصور ، وسننابور ، فإن نابوا ، وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد

الثالث : اختلفوا في حوار ذلك بناءً على الخلاف في حوار تأويله . وقد عرف بأن مذهب السلف ترك التعرض لتأويلها مع قطعهم باستحالة ظواهرها ، فيقولون : أمروها كما جاءت ، وذهب بعضهم إلى رد ، تأويله وحملها على ما يصح حمله في اللسان عليها من غير قطع بتعيين مجمل عنها .

الرابع : الحكم فيه التأديب البالغ . كما فعله عمر رضي الله عنه بصبيغ (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤ / ١٥ - ١٦) .

سأل الزمخشري أبا حامد الغزالي رحمه الله تعالى عن قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ .

فأجابه بقوله : إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية فكيف يليق بعبوديتك أن تصف الربوبية بأين أو كيف وهو مقدس عن الأين والكيف ، ثم جعل يقول :

قل لمن يفهم عني ما أقول
ثم سر غامض من دونه
أنت لا تعرف إياك ولا
لا ولا تدري صفات ركبت
أين منك الروح في خوضها
وكذا الأنفاس هل تحسرها
أين منك العمل والفهم إذا
أنت أكل الخبز لا تعرفه
غداً كنت طواياك التي
كيف تدري من على العرش استوى
كيف يحكي الرب أم كيف يرى
قبولاً أين ولا كيف له
هو فوق الفوق لا فوق له
حل ذاتاً وصفات وسمى

قصر اللوم فذا شرح يطول
ضربت - والله - أعناق الفحول
تدري من أنت ولا كيف الوصول
فيك حارت في خفاياها العقول
هل تراها فتري كيف تجول
لا ولا تدري متى عنك تزول
المسلم النوم فقل لي يا جهول
كيف يجري منك أم كيف تبول
بين جنبيك كذا فيها ضلول
لا تقل كيف استوى كيف التزول
فلعمري ليس ذا إلا فضول
وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو في كل السواحي لا يروى
وتعالى قدره عما تقول

المعية الإلهية

تقدم في بيان عقائد القوم رضي الله عنهم ، أنهم يؤمنون بكل ما نسب الحق عز وجل إلى نفسه من غير تكليف ، لا على الوجه المعروف في الحوادث ، لكما أن ذاته لا تشبه شيئاً من الذوات فصفاة تعالى لا تشبه شيئاً من صفات المخلوقات ، ولا فعله يشبه فعل الخلق ، وهذا أمر متفق عليه ليس بين المسلمين فيه خلاف .

وبيننا أن الفعل إذا نسب للحق تجرد عن الزمان ، فيريد ويشاء إذا نسبت للخلق دخلها الحال والاستقبال ، وإذا نسبت إلى الحق زال منها الزمان فلا حال ولا استقبال لأنها نسبت إلى خالق الزمان ، فهي إرادة مطلقة أزلية أبدية غير مقيدة بالزمان .

وكذلك الظرف إذا نسب للحق زالت منه الظرفية لأنه تبارك وتعالى خالق الظروف والأمكنة ، فكان قبل الأمكنة بلا مكان ، وجلّ سبحانه عن أن يتغير ويتبدل ، فلم يكن سبحانه فاقداً لكمال حتى يفيد من وجود المخلوقات ذلك الكمال ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

فإذا سمعت قوله تعالى : ﴿ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ فالأصل في لفظة (في) أنها إذا نسبت إلى ما يجوز عليه الظرفية كانت

بمعنى الظرفية ، وإذا نسبت إلى من لا يجوز عليه الظرفية انتفت عنها
الظرفية فكانت بالمعنى المنزه اللاتق بالمنزه سبحانه ، ومتى عرفت أن
ذاته تعالى ليست بجسم ولا تشبه الأجسام في سائر صفاتها أثبتت
أنها ليست بالمعنى الجسماني ، وإنما هي بمعنى آخر يليق بالذات
الاقْدَس . وعرفت أن قوله ﷺ « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا » وقوله
تعالى ﴿ وَجَاء رِبُّكَ ﴾ هو نزول ومجيء إلهي بعيد عن كل وصف في
النزول والمجيء المعروف في الأجسام

ومن السام من أثبت للحق سبحانه المعية المعروفة في
الجسمانيات ، وهذا يلزمه الحلول والتجسيم ، ومثبته لا خلاف بين
علماء المسلمين في كفره ، ويعتقدون أنه سبحانه حال في كل مكان
كحلول الماء في العود والروح في الجسد ، وهذا ضلال بين ، وهو
سبحانه كان قبل كل شيء بلا مكان ، وهو على ما عليه كان ، منزه
عن التغير والتبدل ، وأن يحل في مكان أو يتجسد أو يتحد بمخلوق .

وأراد آخرون أن ينزهوه عن هذا القول ، فوصفوا فوقيته على كل
شيء بالوصف الجسماني ، فحيزوه في ناحية من الكون ، فوقعوا فيما
فروا منه ، ويقولون : قال فلان : هو فوق كل شيء بذاته ومع كل شيء
بعلمه ، وهل علمه ينفصل عن ذاته ، وهل (بذاته) وردت في آية من
كتاب الله أو حديث رسول الله ﷺ ؟ لم ترد ، ولماذا قلده في
العقيدة ؟ وهل في العقائد تقليد ؟

والأصل في ذلك أنهم لم يقطعوا بأن الحق منزّه عن الجسميّة ، ولو
نزهوه عنها لسقطت جميع لوازم الجسميّة من خيالاتهم .

وبيان ذلك أنك إن فرضت أن فوقية الذات على العرش هي
الفوقية المعروفة فيما نشاهد ، فلا يسمعك إلا أن تربط بينها وبين
المجيء والنزول اللذين نسباً للحق في الكتاب والسنة ، فتقول : إنهما
كذلك المجيء ، والنزول المعروف لنا فيما نشاهد .

فإذا جاء ونزل إما أن تقول إنه مازال على الفوقية المعروفة فتكون
قد ثبتت النزول المعروف ، فإنه لا يوجد شيء من الأجسام يكون فوق
شيء فينزل ، ولا يزال على فوقيته ، فكانك قلت ينزل ولا ينزل ، وهذا
هو الجمع بين الضدين ، وهو محال .

أو تثبت المجيء الحقيقي المعروف فتكون قد أزلت عنه الفوقية
المعروفة .

فإن أولت المجيء والنزول وقلت بالفوقية المعروفة فقد افترضت ،
وإن أولت الفوقية وقلت بالمجيء المعروف فقد افترضت .

وإنما يلزم التناقض من ظن أن فوقيته سبحانه الفوقية الخلقية ،
ونفى عنه الفوقية الإلهية التي لا تشبه بوجه فوقية الخلق ، وظن أن
المجيء هو المجيء الخلقى ونفى عنه سبحانه المجيء الإلهي المنزه ، وهذا
هو الضلال البين الذي يشبه تناقض الكفار القائلين ثلاثة هي واحد
رواحد هو ثلاثة في وقت واحد .

ولا ندري ما الذي دها عقولهم حتى حملوا النصوص على الفوقية التي تجميع فوقية الخلق ، وقد نفاهما الشرع والعقل ، مع أن الباحثين في المادة حتى الملاحظة بدأوا يغيرون رأيهم في الأجسام المادية ويردونها إلى أصل غير الأحسام . وقد قرر بعضهم : أن الأثير نصف مادي .

فالمؤمنون أولى بترك الحمد الجسماني .

والمحيي ، والفوقية والمعنة المادية مكيفة ، أما غير المادية فلا تنطوي لها كيف ، وهذه هي السلفه الصحيحة

ولما لم يحملها هؤلاء على الفوقية المذهبه التي تفارق فوقية الخلق وتدرج المسموم التي يعن ذلك .

وكذلك المجيء ، وغيره ، وبذلك يخرجون من التناقض الذي هو آية ضعف لتفكير ، وديننا هو الدين الواحد الذي لم ينفك دين غيره عن التدقيق والتهافت .

والتحقيق العلمي في ذلك أن الحق سبحانه ليس بجسم فما نسب إليه ليس بجسماني ، فهي فوقية ليست بجسمانية .

ونزول ليس بجسماني ، ومجيء ليس بجسماني ، ومعية ليست بجسمانية .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ أما الإحاطة بالحادثة فهي كإحاطة السوار بالمعصم ، والإحاطة الإلهية منزهة عن أن تشبه الإحاطة بالحادثة .

وقرب الحق من عباده ثابت ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبَلٍ الْوَرِيدِ ﴾ أقرب إليهم من أنفسهم ، فإنه سبحانه قيوهم ، لا يشاءون إلا أن يشاء ، هو الذي يتصرف فيهم كيف يشاء ، ولا حول لهم ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

القرب المنزه عن جميع صفات القرب الحادث :

سبحانك أين كنت أي حث كنت ولا مكان ، وأين تكون كما كنت ولا مكان . وحدث الترمذي أنه سئل ^{تلك} أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق ؟ قال كان في عماء اهد ، والعماء غيب ، وقد فسره السلف أي ليس معه شيء ، وهو الموافق لما جاء في الأحاديث الصحيحة .

فليس هناك أي جمع بين ضدين ولا نقيضين .

ومن الجبل المركب أن يقول بعض الضالين : إما أن يكون داخل الكون أو خارجه ، ويزعم الجاهل الكاذب علي ربه أن نفيهما معاً وصف له بالعدم ، وهو منتهى الغباء ، وهو دليل على أنه مجسم ضال ، فإن ذلك لا يلزم إلا في التجسيم ، فإننا ننفي عنه سبحانه دخوله في الكون الدخول الجسماني ، وننفي عنه سبحانه خروجه عن الكون الخروج الجسماني ، ونثبت له سبحانه الفوقية الإلهية والقرب الإلهي والإحاطة الإلهية المنزهة عن الصور الجسمانية بسائر أوصافها من حلول واتحاد وتداخل وامتزاج ومكان ومسافة ، فإن ذاته منزهة عن الجسمية ولوازمها فوصفه منزّه عن ذلك كله .

ونسلم الأمر لله حقاً ونفوضه له صدقاً ، لا تفويض المنافقين الذين
يحرمون التقليد في الفروع وهم مقلدون في العقائد لقوم لا يجدون
مضاضة في مخالفتهم في الفروع ، فاسبحان الله .

أولئك الذين يظهرون التفويض زوراً ويبطنون التجسيم الوثني
الذي حاء الإسلام بسخطه

واعلم أن من لم يزل اتار الحسيم من قلبه فما زالت آيات الوثنية
فيه فإنه سبحانه ليس كمثله شيء . من جمع الوحد . أمّا بما أنزل الله
على مرار الله . وهذه هي عقدة السلف الصالح قاطبة لا تكيف ولا
شبهه

أَيْنَ اللّٰه ؟

وعن معاوية بن الحكم السلمي قال : وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية ، فاطلعت ذات يوم ، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بني آدم ، آسف كما يأسفون ، لكنني صركتها صدقة ، لمأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ ، قلت : يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : انتهي بها ، فأتيتها بها ، فقال لها : أين الله ؟ قالت في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإني مؤمنة . (رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة في باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة) .

قال في المشكاة : ورواه مالك في كتاب النكاح باب في كون الرقبة في الكفارة المؤمنة .

وعن رجل من الأنصار أنه جاء بأمة سوداء فقال : يا رسول الله إن عليّ رقبة مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة فأعتقها . فقال لها رسول الله ﷺ : أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت : نعم ، قال : أتشهدين أني رسول الله ؟ قالت : نعم ، قال : أتؤمنين بالبعث بعد الموت ؟ قالت نعم ، قال : أعتقها .

(رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية ، فقال : يا رسول الله إن عليّ رقبة مؤمنة ، فقال لها رسول الله ﷺ : أين الله ؟ فأشارت برأسها إلى السماء بأصبعها السبابة ، فقال لها رسول الله ﷺ : من أنا ؟ فأشارت بأصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء ، أي أنت رسول الله ، قال : أعتقها ، (رواه أحمد والبرار والطبراني في الأوسط) .

إلا أنه قال لها : من ربك ؟ فأشارت برأسها إلى السماء ، فقالت : الله ، ورحاله موثقون .

(ا هـ مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٣ كتاب الإيمان ، باب فيمن شهد أن لا إله إلا الله) .

هذا الحديث الشريف تمسك به من يقول بالجهة مع العلو والفوقية وهو خلاف مذهب عامة أهل السنة والجماعة القائلين بالعلو والفوقية النافين للجنة ، لأن الجهة فيها إثبات النسبة المكانية ولا تحمل المجاز بخلاف العلو والفوقية ، أما العلو فإنه يحتمل العلو المكاني كقولك : الكتاب على الكرسي ، ويحتمل علو الرتبة كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ، وأما الفوقية فإنها تحتمل الفوقية المكانية التي هي التجسيم بعينه ، كقولك : الكتاب فوق الكرسي ، ويحتمل الفوقية الرتبية التي تدل على الفضل ورفعة المقام كقوله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، وجمهور أهل السنة

والجماعة يثبتون العلو للعليّ الغفار ، ويثبتون الفوقية له سبحانه وتعالى ، ولكنهم لا يقولون بالجهة المقتضية إثبات الجسمية والنسبة المكانية وهي قطعاً من صفات الحوادث بلا شك ولا ريب .

إذا علمت هذا فاعلم أن السؤال عن الله بأيّن ليس من أصول التوحيد ، نعم ، إنّ إثبات الاستواء له وإثبات العلوّ والفوقية اللائقة به هو ما صرح به القرآن الكريم ، وهو الوارد عن السلف ، لكن السؤال عنه بأيّن ليس من أصول الدين ، بل وينافي كمال التنزيه المطلوب ، وليس هو مقياس صحيح معتبر للكشف عن حقيقة الإيمان ولإجراء أحكام الإسلام وترتيب ما يترتب على ذلك من حقوق وحرّمات .

إنّ المقياس الصحيح المعتبر للكشف عن حقيقة الإسلام أخبر عنه نبيّنا محمد ﷺ حين قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله » ، ويقولونه : « من قال لا إله إلا الله صادقاً حرّمه الله على النار » ، فإذا قال القائل : لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد أعطى البيان الصحيح الكافي عن معتقده ، واعتصم بحماية الدين ودخل في حصن حصين .

وكان ﷺ قبل أن يحارب الأعداء ينتظر هل يسمع أذاناً من قبلهم ، فإذا سمع كف عنهم ، ولم يكن من سنته في معاملة الأمة أن يسألهم عن مكان الله بعد إقرارهم بكلمة التوحيد ، ولم يقل أنه ينبغي

لهم أن يقرّوا بعد ذلك أو مع ذلك بأن الله في السماء ، أو يجب أن نسألهم أين الله ؟ .

هذا مع أنه ثبت من طرق أخرى أن السؤال وقع بغير هذا اللفظ وهو قوله : (أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟) وقوله في رواية أخرى : (من ربك ؟) .

وبهذا تعلم أن استدلال بعضهم بهذا الحديث على أن الله مكاناً أو أنه سبحانه متّحيز في جهة استدلال معلول ساقط ، والقول به باطل ، فقد اتفقت كلمة أهل السنة والجماعة على وجود تنزيه الحق عن الجسميّة ، فهو سبحانه منزّه عن الأطوال والأبعاد ، ولا خلاف بين المسلمين في ذلك حتى الكرامية المجسّمة عندما قالوا بالجسميّة قالوا هو جسم لا كالأجسام ، وهذا تناقض أو نفاق ، فإنهم إن أثبتوا الجسميّة بحقيقتها المعروفة عند الإطلاق والمتعارف عليها لفظياً بين أهل اللغة فإنهم يثبتون جسماً له طول وعرض وعمق ، فإن نفوا عنه الطول والعرض والعمق كان تناقضاً ، وهؤلاء هم الذين اختلف العلماء في كفرهم وإن لم ينفوه وإنما نفوا أن يكون كالأجسام من حيث أوصاف أخرى لم ينفعهم النفي لأنهم جعلوه فرداً من أفراد الأجسام يشمله حد الجسم فيكون فرداً من كلي . وهؤلاء الذين لا خلاف بين محققي العلماء في كفرهم لأنهم مشركون .

وكذلك قد اختلف العلماء فيمن نسب إليه سبحانه وتعالى الجهة

الفوقية المعروفة التي تقابل التحتية ، ولما كانت الجهة فرع الجسمية فإن الجسم ذو ستة سطوح ، فإذا وضع الجسم بإزاء جسم آخر أو أجسام نشأ عن هذا الوضع الجهات الست : فوق وتحت ويمين ويسار وأمام وخلف ، والجهات اعتبارية قد تتغير بتغير الوضع والاعتبار ، فمن أثبت الجهة للحق سبحانه لزمه القول بالجسمية ، فإن التزم الجسمية وقال بها فلا خلاف بين العلماء في كفره ، ومن نفاها فقد تناقض فإنه بالقول بالجهة أثبت الجسمية ، وقد نفاها في إن واحد حيث صرح بنفي الجسمية .

وهؤلاء هم الذين اختلف العلماء في كفرهم رجوعاً إلى القاعدة ، هل لازم المذهب مذهب وإن لم يلتزمه صاحبه ، أو ليس بمذهب ؟ أما من نسب للحق سبحانه أنه تحت الأشياء فهو كافر بالإجماع حيث لا شبهة له .

حديث الجارية :

أما حديث الجارية الذي فيه أنه ﷺ سألها أين الله ؟ . فقالت : في السماء ، قال : فمن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة . فقد قال شيخنا الشيخ محمد الحافظ : إن كلمة الوفاق بين علماء المسلمين قاطبة من أهل السنة سلفاً وخلفاً أن أين الله - بفرض أنها وردت كذلك - ليس معناها أن الله تبارك وتعالى له مكان ، والرسول ﷺ يسأل عن المكان الذي هو متحيز فيه ، ولا خلاف

في أن ذلك باطل مردود ، فإنه سبحانه خالق الأكوان بما فيها المكان ،
ووجوده سابق عليها ، وكان قبل الأمكنة بلا مكان ، وحل سبحانه عن
أن يتغير أو تبدل ، فلما خلق المكان فهو سبحانه على ما عليه
كان ، غي عن المكان والأكوان .

وحيث إن من الكافرين من يعتقد أن الحق جالس على العرش في
السماء ، الخلق المعروف ، وقال المسحون إنه أسعد ولده فأجلسه
محواره على العرش (انظر أناجيلهم) ، فإذا سألت أحدهم : أين
لله ؟ فسبحك في السماء ، لا يدل على أنه موحد له ، فلا يزال
على كفره ، هو يعتقد الولد له ، سبحانه عما يقول الضالون .

ومن موضح البين أن الرسول ﷺ إنما كان يسألها سؤالاً يفيد
جوابه نفي شرك ، وحيث إن السؤال بأين الله ، بمعنى السؤال عن
مكانه وأحواله في السماء ، لا يفيدان نفي الشرك ، فنحن نجزم بأن
هذا سؤال لم يصدر منه ﷺ على هذا الوجه ، فإن صح في اللغة أين
الله بمعنى تعيين المعبود لا تعيين المكان ، كان ذلك هو المقصود .
كم يسأل ولداً عن أبيه مثلاً وهو لا يعرفه : أين أبوك ؟ من هؤلاء
القوم ؟ وهو لا يريد أن يسأل عن مكانه ، وإنما يريد أن يعينه له ،
فالجواب هذا أبي .

وروي أن الحق سبحانه وتعالى ينادي يوم القيامة :
(أس الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع) .

ومعنى هذا : يا من كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع هلموا
فيقوموا ، ويدهي أنه ليس سؤالاً عن مكانهم .

وقد ورد أنه ﷺ سأل حصيناً : كم إلهاً تعبد ؟

قال : ستة في الأرض وواحد في السماء ، فمثل هذا إن سألته
سائل : أين الله ! فسيقول في السماء ، ولا يزال على كفره وشركه ،
ولا يدل السؤال والحوار على أنه مؤمن ، وإنما السؤال الذي يدل جوابه
على التوحيد ، كأن يقول لها من ربك ؟ أو من تعبدون ؟ فتقول :
الله ، أو أعبد الله ، وقد قال ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى
يقولوا لا إله إلا الله » ، ولم يفعل ﷺ : حتى يقولوا إن الله له مكان
في السماء .

وحسب الرويات قد تكون باللفظ ، وقد تكون بمعنى ما فيه
برأيي واحتمال تصرفه في اللفظ وارد وقوي (وإن كان في الصحيح
سيما وأنه قد صح بلفظ (من ربك ؟) . ولما كان هذا هو السؤال
سي يعين التوحيد . فنحن نجزم بأن أفصح الخلق الذي أوتي حوامع
الكلم لا يصح أن يسأل - وهو يريد معرفة توحيد الجارية - سؤالاً
يريد به وجهاً لا يعين التوحيد لكن لما كانت الجارية أعجمية لا تحسن
العربية حاطبها النبي ﷺ على قدر فهمها بقوله : أين الله ، ولما كان
التعير بالقول عن الإشارة شائع في اللغة والعرف استعانت الجارية في
جوابها بالإشارة لا بالعبارة ، ولما كان شأن المتكلم بالإشارة أن يستعين

على تصوير ما يريد إفهامه من الأمور المعنوية بالمحسومات لم يستدل
ص بجوابها على أنها كانت تعتقد الجهة فضلاً عن أنها محددة . ونرد
فهم من يُنسب إلى رسول الله ﷺ ذلك ونعتبره وهماً وسوء فهم .

توحيد الألوهية والربوبية متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر

اعلم أن التوحيد الذي جاءت به المرسلون وبينه خاتمهم عليه وعليهم الصلاة والسلام أم بيان ، ونطق به القرآن ، وبرهن عليه أسطق برهان ، هو أنه تعالى واحد في ذاته ، واحد في صفاته ولا خالق سواه ولا مستحق العبادة إلا هو ، والكلمة الطيبة « لا إله إلا الله » تنصير أقسام التوحيد كلها ، وقد أحسن البهقي بيان ذلك في كتابه (التسميات والصفات) فيما نقله عن أبي عبد الله الحلي . أما وحدانيته في ذاته سبحانه فمعناها أن ذاته العلية لا تتركب من أجزاء مادية ولا عقلية ، ولا من أصول غير مادية ، فلا تحوء حول حماها التقدير والمساحات والأشكال ونحوها . وقد برهنه القرآن ببيان أن له سبحانه الغنى الأكمل ووجوب الوجود ، والتركيب في الذات واتصافها بالمقدار ولوازمه يستلزمان الحاجة إلى الغير والافتقار إلى السوى ، وبنايان وجوب الوجود ، ويقتضيان الاتصاف بالإمكان ، تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً ، فهو واجب الوجود ، وهو الأول والآخر ، وهو الغني الحميد . وأما أنه واحد في الصفات فهو أنه سبحانه لا ثاني له في وجوب الوجود ، وما يستلزمه من الكمالات العليا اللاتقة بمرتبة وحوده الأعلى : من الحياة ، والعلم ، والإرادة والقدرة ، وإذا قد ثبتت

وحدانيته فيما ذكر ، لزم أنه لا خالق سواه ولا رب غيره ، وإذا بان أنه لا خالق سواه ثبت قطعاً أنه لا يستحق العبادة غيره ، فإن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية - أي استحقاق العبادة - متلازمان عرفاً وشرعاً ، فالقول بأحدهما قول بالآخر ، والإشراك في أحدهما إشراك في الآخر ، فمن اعتقد أنه لا رب ولا خالق إلا الله ، لم ير مستحقاً للعبادة إلا هو ، ومن اعتقد أنه لا يستحق العبادة غيره كان ذلك بناءً منه على أنه لا رب إلا هو ، ومن أشرك مع الله غيره في العبادة كان له محالة وإلزاماً لربوبية هذا العبر ، هذا ما لا يعرف في الناس سواه ، فإن من لا يُعبد له ربوبية استحال أن يتخذ معبوداً ، ولهذا تجد الناس ، عندهم الصلاة والسلام ومن أرسلهم جل جلاله يكتبون في دعوة إلى التوحيد بأحدهما ، ويضعون كلاً منهما موضع الآخر ، اكتفاءً بشدة التلازم بينهما في العقول ، وأن القول بتوحيد الربوبية هو إقرار بتوحيد الألوهية وبالعكس ، وإليك البيّنات من القرآن والسنة : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَاسْتَهْدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ فماذا كانت صيغة العهد بنص القرآن ؟ هكذا : ﴿ السُّبُّ بِرَبِّكُمْ ﴾ ولم يقل بإلهكم ، وجعله سبحانه حجة على من أشركوا به في العبادة حيث قال : ﴿ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية .

البس هذا صريحاً في أن أخذ العهد بتوحيد الربوبية هو أخذ

للعهد بتوحيد العبادة ؟ هذا ما لا خلاف فيه بين العلماء من زمن الصحابة إلى عهدنا هذا .

موقف نبي الله نوح عليه السلام :

ماذا قال نبي الله نوح لقومه الوثنيين ؟ ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ ۖ ، وَأَقَامَ لَهُمُ الرِّهَانُ عَلَى تَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ ، لَمَّا تَقَرَّرَ فِي عَقُولِ النَّاسِ أَنَّهَا لَا تَعْبُدُ سِوَا اللَّهِ إِلَّا إِذَا أَشْرَكَ هَذَا الْغَيْرُ فِي الرَّبُّوبِيَّةِ ، وَإِذَا انْحَمَى عَلَيْهَا هَذَا الْإِشْرَاقُ تَبَعَهُ التَّوْحِيدُ فِي الْعُبُودِيَّةِ .

موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام :

ماذا قال إبراهيم لذلك الذي حاحه في ربه ؟ قال : ربي الذي يحيي ويميت ، وقال عليه السلام لقومه تنزلاً معهم ليهديهم إلى الحق : هذا ربي ، هذا ربي ، ولم يقل : إلهي ، وكان نهاية الحجة أن قال : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ، وما هذا إلا توحيد الربوبية المستلزم في كل عقل إذا سلمه توحيد الألوهية .

وقال الخليل عليه السلام أيضاً لعباد الأصنام : ﴿ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾ الآية ، أليس هذا إضراباً إبطالياً لما اعتقدوه من ربوبية الأصنام ؟ وأقام الدليل الحسي عليه السلام على عجز الأصنام بتكسيه إياها بياناً لعباديتها أنها لو كانت أرباباً كما اعتقدوا لاستطاعت الدفع عن نفسها ، فإذا بطلت ربوبيتها

موقف نبي الله موسى وهارون عليهما السلام :

ولما قال موسى وهارون عليهما السلام لفرعون : أنا رسول رب العالمين جرت بينه وبينهما محاوراة تتعلق بالربوبية والألوهية ذكرتها هذه الآيات بالتفصيل وهي قول الله تعالى حكاية عن فرعون وموسى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ ، قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَجُنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . وقال فرعون مرة : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ وقال أخرى : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ .

موقف نبي الله عيسى عليه السلام :

ويقول الله لعيسى ابن مريم : ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ؟ ، فيقول بعد كلام حكاة عنه التنزيل : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ ، فلو كان توحيد الربوبية لا يستلزم عندهم توحيد الألوهية كما زعم بعضهم ، لتوجد على المسيح عليه السلام أن يقال له : ما أدبت رسالتنا فإنا إنما أرسلناك بتوحيد الألوهية ، ولم نكلفك ببيان توحيد

الربوبية لأنهم مقرون به ، ولكننا نرى الله تعالى قد قبل منه هذه
الحجة ، أفلا يكون في ذلك على ما نقول أبين حجة ؟ وعنه عليه
السلام في موضع آخر من الكتاب العزيز : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ ﴾ بقاء التفريع والترتيب المفيدة للاستلزام ، ويقول القرآن
فيما أمر به الرسول الأعظم تارة : ﴿ قُلْ أَغْيَرُ اللَّهَ اتَّخَذُ وَلِيًّا ﴾ أي
معبوداً ، وأخرى ﴿ قُلْ أَغْيَرُ اللَّهَ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

سؤال الميت في القبر :

حديث المسألة في القبر الذي يكاد يبلغ حد التواتر المعنوي
مشهور ، وفيه أن الملائكة يقولان للميت : من ربك ؟ ولا يقولان : من
إلهك ؟ فإذا أجابهما : « الله ربي » اكتفيا منه في التوحيد بهذا
الجواب ، ولم يقلوا له : هذا توحيد الربوبية ، وهو لا ينجيك .

قأول ما خاطب الله الأرواح : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ . واكتفى منهم
بالإقرار بوحدانيته في الربوبية ، وأول ما تسأل الموتى في قبورها : من
ربك ؟ واكتفى منهم بالإقرار بأنه ربهم ، أفبعد هذا يشكك متشكك ؟
ولكن الله يهدي لنوره من يشاء .

تقرير قرآني في المسألة :

وقد رتب القرآن اللوازم الفاسدة على نفي الوحدانية في الألوهية
بيانا منه تعالى أن الشركة في الألوهية تستلزم الشركة في الربوبية

عند المشركين لا محالة ، تعالى الله أن يكون له شريك ، فانظر ماذا قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ومعناه عند أولى النهى : أنه لو كان معه إله لكان رباً وخالقاً ، ولو كان معه ذلك لذهب .. إلخ ، وإنما يكون الدليل تاماً إذا مسحت الملازمة ، كما في مسلمة عند المحاطين ، وبأى الله أن يكون حجته إلا نامة ﴿ وتنبأ كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾ ومعنى هذا أن القرآن يقرر أن من أشرك في اسحقوا العباد ، كان مشركاً لا محالة في الربوبية ، وكذلك قال تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ولم يقل : أرباب ، لتلازم لربوبه والألوهية نقيضاً وإثباتاً .

وتقرير هذا البرهان الشريف يطلب في كتب العقائد ، وخلاصته أنه لو كان معه شريك في الألوهية لكان شريكاً في كونه رباً وخالقاً ، ولو كان كذلك لكان شريكاً له في وجوب الوجود ، ولو كان ذلك كذلك لفسدت العوالم ، ولما كان لها نظام ، بل ما كان لشيء منها وجود .

الخلاصة :

وبهذا تتضح لك حلياً أنه لاخفاء على من تدبر كتاب الله في أن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية متلازمان في نظر العقل والشرع ، فالقول بأحدهما قول بالآخر ، وانتفاء أحدهما في اعتقاد من اعتقد الانتفاء قول منه بانتفاء الآخر ، والبرهنة على أحدهما هو استدلال

على الآخر ، والقول بأن المرسلين عليهم الصلاة والسلام ما جاءوا بتوحيد الربوبية لأن الناس كانوا في غنية عن بيانه ، وما جاءوا إلا بتوحيد العبادة - احتجاجاً ببعض الآيات التي لم يحسنوا فهمها - قولٌ تكذبه نصوص الكتاب العزيز ، ودعوى يدحضها العلم بتاريخ المشركين قديمه وحديثه ، ما حكاه الكتاب العزيز من ذلك وما علمه الناس ، هؤلاء المفتنون بفتنة السامري من بني إسرائيل أشركوا العجل في عبادة ربهم ، فقال لهم نبي الله هارون بصفه المحصر ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴾ يعنى لا هذا العجل ، فهل يصح منه عليه السلام هذا الكلام ؟ إذا كان إشراكهم في العبادة مبساً على الإشراك في الربوبية .

سهم من القول بخلاف هذا معاندة للحق ، وانقياد لمحض الهوى ، وصحح من سأل سأل عني عن وصية موجزة كافية لا يسأل بعدها أحداً غيره ، فقل له : بأبي هو وأمي ، عليه الصلاة والسلام - (قل : ربي الله ثم استقم) فلو كان كما يقول ذلك المفرق بين التوحيدين الذي استحللت بناءً على فتياه هذه دماء لا تحصى ، حقها الإسلام وحرمها الله ورسوله ، لكانت هذه الوصية غير كافية لا مؤدية لما جاء به المرسلون ، وحاشاها من ذلك ، كذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ الآية ، وهذه العبارة في موضعين من كتاب الله تعالى في سورة (حم السجدة وسورة الأحقاف) . وقد رتب السعادة كلها على الإستقامة المبنية على قول : ﴿ رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ دون أن

يقول إلهنا ، فهل بعد الله ورسوله لأحد من قول ؟ ﴿ فَبَآئٍ حَٰدِثٌ
بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

فليحذر المسلم من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وهجوم المنكرين
الذين لا هم لهم إلا التشيع على جماهير المسلمين وكفرهم ، وند
أكابرهم من العلماء ، العاملين وأهل السنة المحققين ، بأنهم أئمة الكفر
والهادمون للإسلام ، والمناوئون للسنة والقرآن ، والمخالفون لدن الله
إلى أشبه ذلك مما يحس له وجه الإسلام وتغضب له الحقائق ، ويلقي
بدور الشقاق بين الأمة ، التي وحد الإسلام الصحيح بينها ، وأوصى
الإسلام أئمة بالمحافظة عليها - أعني تلك الوحدة - فنسأل الله الكريم
بسيه العظيم سي الرحمة أن يلهم جميع الأمة الرشد حتى تجتمع ولا
تتفرق وتتحاب ولا تتباغض . إنه ذو الفضل العظيم (١) .

(١) انظر در فان القرآن للشيوخ سلامة العرام

ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى

هذه الآية من النصوص التي يستدل بها البعض على مرادهم المردود وفهمهم الخاطئ وتصورهم الفاسد فيطبقونها على كل من توسل بالنبي ﷺ أو بالأولياء والعالمين من هذه الأمة المحمدية ، وعلى كل من تبرك بهم أو باثأرهم الحسنة والمعصية ، وعلى كل من عظمهم واحترمهم ، راعى أن ربه المسلمين العالمين والتوسل بهم والتبرك باثأرهم والدعاء عند فطورهم عماده لهم كعبادة المشركين للأصنام ، ولم يفرقوا بين الحق والباطل ولم يدركوا أن الله تعالى إنما أكرم على المشركين عبادتهم للأصنام وإيخادها الهة من دونه تعالى وإشراكهم به في دعوى ربوبية وأن عبادتهم لها تقربهم إلى الله زلفى ، وكفرهم وإشراكهم من حيث عبادتهم لها ومن حيث اعتقادهم أنها رب من دون الله ، لا من حيث توسلهم بها وقولهم أنها تقربهم إلى الله زلفى

وهي دقيقة لا بد من بيانها ، وهي : أن آخر هذه الآية يشهد بأن أولئك المشركين لم يكونوا صادقين في قولهم مسوغين عبادة الأصنام ، ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ، فإنهم لو كانوا صادقين في ذلك لكان الله أجلّ عندهم من تلك الأصنام ، فلم يعبدوا غيره ، قال تعالى مبيناً هذه الحقيقة في آخر هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾ ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَبِّ أَصْنَامِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّلْنَا كُلَّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَعَبْدُ بْنُ حَمْدٍ وَابْنُ حَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو السُّمَيْعِ عَنْ سِدْنَا قُصَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَصْنَامَ الْكُفَّارِ فَسَبَّ الْكُفَّارُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . هَذَا سَبِّ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ ، فَهِيَ إِذَنْ تَنْهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ نَهْيِ حَرَمِهِ شَرِّدَ أَنْ يَقُولُوا كَلِمَةً نَقْصٍ فِي الْحِجَارَةِ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا رَوَّاسِيُورَ مَكَّةَ الْمُشْرِقَةِ . لِأَنَّ قَوْلَ تِلْكَ الْكَلِمَةِ يَتَسَبَّبُ عَنْهُ غَضَبُ أَوْلَئِكَ رَوَّاسِيُورَ غَيْرَةٍ عَلَى تِلْكَ الْأَحْجَارِ الَّتِي كَانُوا يَعْتَقِدُونَ مِنْ صَمِيمِ قُلُوبِهِمْ أَنَّهَا إِلَهَةٌ تَنْفَعُ وَتَضُرُّ ، وَإِذَا غَضِبُوا قَابَلُوا الْمُسْلِمِينَ بِالْمِثْلِ فَيَسُبُّونَ رَبَّهُمُ الَّذِي يَعْبُدُونَهُ وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَيَرْمُونَهُ بِالنَّقَائِصِ وَهُوَ الْمُتَزَدُّ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، وَلَوْ كَانُوا صَادِقِينَ بِأَنَّ عِبَادَتَهُمْ لِأَصْنَامِهِمْ تَقْرِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ زَلْفَى ، مَا اجْتَرَأُوا أَنْ يَسْبُوهُ انتقاماً مِمَّنْ يَسْبُونُ آلِهَتَهُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ أَوْضَحُ جَدًّا فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي نَفْسِهِمْ أَقْلٌ مِنْ تِلْكَ الْحِجَارَةِ .

وَقُلْ ذَلِكَ أَيْضاً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ حَقًّا أَنَّ

الله تعالى الخالق وحده ، وأن أصنامهم لا تخلق لكانت عبادتهم لله وحده دونه ، أو لكان على الأقل احترامهم له تعالى فوق احترامهم لتلك الحجارة

وهل هذا يتفق مع شتمهم له عز وجل غيرة على حجارتهم وانتقاماً لها منه سبحانه وتعالى ؟ ، إن البداة تحكم أنه لا يتفق أبداً ، وليست الآية التي معنا وحدها تدل على أن الله تعالى أقل عند أولئك المشركين من حجارهم ، بل لها أمثال منها قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِهِمْ هَذَا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصر إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾ فلو أن الله تعالى أقل في شؤم من تلك الحجارة ما رجحوها عليه هذا الترجيح الذي تحكيه هذه الآية ، واستحقوا عليه حكم الله عليهم بقوله : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ . ومن هذا القبيل قول أبي سفيان قبل إسلامه : ﴿ أَعْلُ هُنَّ ﴾ كما رواه البخاري ينادي صنمهم المسمى بهبل أن يعلو في تلك الشدة رب السموات والأرض ويقهره ليغلب هو وجيشه جيش المؤمنين الذي يريد أن يغلب آلهتهم ، هذا مقدار ما كان عليه أولئك المشركون مع تلك الأوثان ومع الله رب العالمين .

فليعرف حق المعرفة : فإن كثيراً من الناس لا يفهمونه كذلك ، ويننون عليه ما يبنون ، فلو قالوا إنما نعبد الله وحده لا شريك له لا

الأصنام ؛ وعبوديتنا لله تعالى لا للأصنام ، ولكن لا اعتقادنا قريبا من
 الله على زعمهم جعلنا عبادة الله عندها فقط من غير أن نشركها
 بربوبية ولا ألوهية ، وإنما نرجو ببركتها أن يقبل الله عبادتنا ودعاءنا
 له وأن يقرنا إليه زلفى ، أو قالوا إنما نتخذها قبلة والعبادة خالصة لله
 تعالى لما أشركوا ، وإنما ينسب إليهم الجهل بارتكابهم محرماً فقط .
 حيث إنهم جعلوا لها هذا الاستحقاق من دعوى القرب أو القبلة من
 غير أمر من الله ، ولا علم أتاهم ، ولا سلطان جاءهم ، وعلى هذا
 لما يكفرون بعبادتهم لله تعالى عندها ؛ كما لا يكفر المؤمن بالله تعالى
 لو أذن في كنائس الكافرين ؛ أو صلى فيها فرضاً أو نفلاً ، ألا ترى
 أن الله لما أمر المسلمين باستقبال الكعبة في صلاتهم توجهوا بعبادتهم
 إليها ؛ واتخذوها قبلة . وليست العبادة لها ، وتقبيل الحجر الأسود
 إنما هو عبودية لله تعالى ، واقتداء بالنبي ﷺ ، ولو أن أحداً من
 المسلمين نوى العبادة لهما لكان مشركاً كعبدة الأوثان ، وقد ثبت أن
 الأعمال بالنيات ، ومناطق جميع الأعمال على النية والقصد ، ولم يسم
 الانحناء لتقبيل الحجر الأسود ووضع النبي ﷺ جبهته عليه سجوداً
 له ، كما يزعم المنكرون أن المسلمين في تقبيل أيدي أولياء الله
 يسجدون لهم ، ولو كان سجوداً لكان الانحناء لتقبيل الحجر الأسود
 سجوداً له ، وحينئذ يقعون في الورطة التي أرادوا الفرار منها ، وقد
 ثبت أن حبر الأمة عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما أخذ
 بركاب زيد بن ثابت أحد علماء الصحابة رضي الله عنه ، فسمعه

تعظيماً له ولقرايته من رسول الله ﷺ ، فقال له عبد الله : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا ، فأخذ بيده وقبلها وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ، ولم يعد انحناه من فوق سرج بغلته لتقبيل يد عبدالله بن العباس سحوداً

وهذا دليل على أن كلا منهما أمر بتعظيم الآخر ، وأن تعظيم الصالحين وتقبيل أيديهم مشروع

وحاء في مس أسى داود عن رابع رمسي الله تعالى عنه وكان من وفد عبد القيس ، قال : فجعلنا نشادر من رواحنا فنقبل يد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ورحله ،

وحاء في كتاب الترمذي عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في البيت فأتاه فقرع باب فقدم إليه النبي صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه ، فاعتنقه وقبله ، وقال الترمذي : حديث حسن ، وهذا دليل أيضاً على أن تقبيل الصالحين سنة متروعة من سنن المرسلين .

وليس التوسل لله بالمقربين شركاً ، ولا حبههم لله وفي الله كفراً ، ألا ترى أن أولاد سيدنا يعقوب عليهم السلام جاءوا إلى أبيهم يتوسلون به إلى الله ، وقالوا : ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ فهلا استغفروا لأنفسهم بدون واسطة ؟ وهل كانوا في ذلك مؤمنين أم مشركين ؟ كما يزعمه المنكرون ، وما طلبوا منه أن يستغفر لهم إلا

ليقرّبهم إلى الله زلفى ، وذلك لعلمهم بما له عند الله من القرب
والخصوصية ، وما عليهم من الذنوب التي تباعد بينهم وبين الله
وتحول بينهم وبين إجابة دعائهم . وكذلك قال الله تعالى لبيد ﷺ
في حق المؤمنين من أمه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
حَاءُوا فَاسْتَعْمَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُمُ الرَّسُولَ لَوَحَّدُوا اللَّهَ تَوَابًا
رَحِيمًا ﴾ . فانظر إلى قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . يعنى
عند محو حصول الذنوب منهم والإنابة ، لأنهم هم المستحقون للشفاعة
﴿ حَاءُوا ﴾ . قدم شرط محبتهم إلى النبي ﷺ . يعنى المدينين ،
ولعلهم يرجعون وحقودعهم لديه قبل ذكر استغفارهم لله ، ثم قال :
﴿ فَاسْتَعْمَرُوا اللَّهَ ﴾ . فما الفائدة من ذلك ؟ هل كان لا يمكن
استغفارهم لله تعالى قبل مجيئهم إلى النبي ﷺ ؟ . ثم قال :
﴿ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُمُ الرَّسُولَ لَوَحَّدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا ﴾ . ما الفائدة
من استغفار الرسول لهم ؟ هل كان لا يكفي مجيئهم إلى النبي ﷺ
واستغفارهم لأنفسهم فيجدون الله تواباً رحيماً ؟ بل ما ذاك إلا
ليرتدعوا إلى الالتجاء إلى النبي ﷺ إذا أصابتهم مصيبة ، والتوسل
به وطلب الشفاعة منه لهم بالغفران ليقربهم إلى الله زلفى .

ودم الله تعالى من صدّ عن طلب الاستغفار من رسول الله ﷺ
بشدّد الحملة عليهم لأن ذاك أكبر علامة المنافقين ، فقال حل حلاله
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصْدُقُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ . فما أشد هذا التوسّع ، وما
امرّ هذا التقرّيع لو كانوا يفتقون .

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ، أي رحمة لهم ، ومعنى الصلاة الدعاء . وأثنى الله على مؤمني الأعراب بقوله : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَوْمَئِذٍ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَّواتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِيقَاحُ اللهِ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، فانظر إلى فضل الله ورحمته بالمؤمنين ، كيف يطلب لهم الدعاء من أنبي ﷺ . ودين لما أن صلوات الرسول قربت ، فالله سبحانه وتعالى يطلب لما مر النبي ﷺ الدعاء ، وهؤلاء المنكرون يقولون : التوسل بالنبي كفر ، وطلب الدعاء منه ومن غيره من عباد الله الصالحين ترك . فما أحبلهم بكتاب الله وبحق رسول الله ﷺ وسنته ، وقد كان المنكرون يلتجئون إلى النبي ﷺ في كل نازلة فيكشفها الله عنهم بركته ، ولو كان ذلك شركاً وكفراً لما أقرهم على ذلك ولزجرهم .

ألا ترى أنه زحر من أراد السجود له ﷺ لما قال : إني رأيت الأعاجم يسجدون لمملوكهم ، وأنت أحق بالسجود منهم ، فقال النبي ﷺ : (السجود لا يكون إلا لله) .

فانظر كم الفرق بين التوسل والعبادة فأين الأفهام الصافية هل من المسلمين من إذا زار نبياً أو ولياً سجد له ؟ أو فيهم من يعتقد أن النبي أو الولي إله من دون الله أو أنه ابن الله ؟ هيهات ، أين الفرق بين الفريقين .

فكيف يحرم المنكرون التوسل بالأنبياء والأولياء ، وقد ثبت
التوسل بصريح الكتاب العزيز ، قال الله تعالى حكاية عن اليهود :
﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . أي
يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم الصرنا بنبي آخر الزمان
المنعوت في التوراة ﴿ طَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ . يعني
محمداً ﷺ ، فإذا كان التوسل به ثابتاً قبل المهوره ، فكيف
ينكرونها بعد ظهوره .

الاستدلال بآيات في غير محلها الوارد

رجح بعضهم آيات في القرآن وردت في المشركين وبطبقونها على الخواص والعوام من المؤمنين في الرد عليهم وبه يحصلون إلى الحكمة عليهم ذلك كفر فسر بوسيل بالنبي ﷺ أو سبحانه أو عظمه أو سبحانه به أو رزاه ، وسمون ذلك دعاء للمنادي وقالوا إن الدعاء هذه فهو عدة لعسر الله ، وأنه بذلك صار مشركاً لقوله تعالى : ﴿ وَتَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غافلون وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كُفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ

فَطْمِيرٌ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا
لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٠٠﴾ وقوله
تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَيْسَبَ الْعِصْرِ
عِنكُمْ وَلَا تَحْزَنُوا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَسْعَوْنَ إِلَى رَبِّهِمْ الْيَوْمَ سَعَاءً
أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَبِرَحْمَتِ رَبِّهِمْ وَبِحَافِظِهِ عَذَابُهُ أَنْ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا ﴾ . وأمر الله الأناب كثير في القرآن وكلها حملها على
الموحدين

في معصيتهم . من استعانت أو توسل بالنبي ﷺ أو بغيره من
الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه يكون مثل
هؤلاء المشركين ويكون داخلًا في عموم هذه الآيات ، وحمل زيارة قبر
سبي ﷺ أيضاً مثل ذلك ، وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين
في اعتذارهم عن عبادة الأصنام : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ
رُفْقَى ﴾ . إن المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم
إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها
تخلق شيئاً ، بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى
﴿ وَلَنْ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَلَنْ
سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ، فما حكم الله

عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم : (ليقرّبونا إلى الله زلفى)
بهؤلاء مثلهم ، هكذا يحتج هذا البعض من الغلاة على المؤمنين ، وهي
حجة باطلة فإن المؤمنين ما أبدوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا
الأولياء الهة ولا جعلوهم شركاء ، بل هم يعتقدون أنهم عبيد الله
مخلوقون له ولا يعتقدون استحقاتهم العبادات ، لا أنهم يحلفون شيناً ولا
يهم بمذكور دعماً أو مبرراً ، وإنما فسدوا الشرك بهم لكونهم أحياء الله
مقرر أدرك مصداقه واحتماهم ، وسرّكتهم برحم الله عباده

وبدلت ضواهد كثره من الكتاب والسنة سذكرك لك كثيراً منها ،
وعنده المسلمين أن الخالق النافع الصار هو الله وحده ولا يعتقدون
استحقاق عبادة إلا لله وحده ، ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه ، وأما
متركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها ، فكانوا يتخذون
الأصنام آلهة ، والإله معناه المستحق للعبادة ، فهم يعتقدون استحقاق
الأصنام للعبادة ، فاعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذي أوقعهم في
الشرك ، فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعاً ولا ضرراً قالوا ما
نعبدكم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى ، فكيف يحور لهؤلاء وأتباعهم أن
يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون ألوهية
الأصنام .

إذا علمت هذا تعلم أن جميع الآيات المتقدم ذكرها وما ماثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين لأنهم لا يعتقدون ألوهية غير الله تعالى ، ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره ، وقد جاء في حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين ، فهذا الوصف صادق على هؤلاء الغلاة المتعنتين الذين يسبون أنفسهم إلى السلف ، والسلف منهم براء (١) .

(١) اهـ بتصرف من شواهد الحق للنبهاني ص ١٥٢ .

القرآن كلام الله وهو أفضل الكلام بلا خلاف

والمقارنة بينه وبين الصلاة على النبي ﷺ كلمة حق أريد بها باطل

كثيراً ما نسمع بعض الأخوان هداهم الله إلى الصراط المستقيم ويزور بصائرهم بحب نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

نسمع هؤلاء يعترضون بشدة على من يروونه مشغولاً بالصلاة والسلام على سيد السادات وإمام أهل الأرض والسموات سيدنا محمد ﷺ تسليماً كثيراً ، ويقولون له إن الاشتغال بقراءة القرآن وذكور الله عز أفضل من الاشتغال بالصلاة والسلام على النبي ﷺ ، وهنا يقف الإنسان حائراً متعجباً مندهشاً أمام هذه الحجة القوية والبرهان الذي لا ينكره مسلم ولا يخالف فيه عاقل موحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ ، بل إن عوام المسلمين ممن لا ينتسبون إلى العلم يعرفون هذا ويدركون الفرق بين القرآن وبين الصلاة والسلام على النبي ﷺ ، وهو أمر ظاهر واضح لا يشك فيه إلا أعمى البصيرة أو جاهل مركب - والعياذ بالله - بعيد عن المجتمع الإسلامي القرآني .

وإني أظن ﴿ وبعض الظن إثم ﴾ أن نية هذا المعارض سيئة وقصده خبيث ، فهو ما أراد بهذا إلا أن يمنع هذا المحب الصادق من الاشتغال بالصلاة والسلام على النبي ﷺ ، وأن يستدل على ذلك بهذه الحقيقة

الصادقة ليتوصل بها إلى ذلك المطلوب الفاسد بغضاً وحسداً ، كما هو
 هذا ما هو في ظني وإن كان غير ذلك فأستغفر الله العظم من سوء
 الظن ، وما علم هذا المعرض المذكور بأن الصلاة على النبي ﷺ هي
 المواظب التي ورد النص فيها أفضل ، ولا يقوم بحسبها دعائها ، أما
 في غير ذلك فالفرار أفضل ، ويسمي الإكثار من الصلاة بالبلادة ،
 بقصر في ذلك إلى محروم

وذكر ابن حجر في (شرح العباب) صلاة القرآن أفضل الذكر
 لعدم الذكر به يخص وقت أو محل ، أما ما حص بذلك بان ورد الشرع
 به ولو من صرح صعب فيما يظهر فهو أفضل لتخصيص الشارع
 عليه هـ وقد في (حاشية إيضاح المناسك) عند قول الإمام
 سوري فيه في الباب السادس منه : المسألة الثالثة : يستحب إذا
 توجه إلى زيارته ﷺ أن يكثّر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه ،
 فإذا وقع بعرضه على أشجار المدينة وحرّمها وما يعرف بها زاد من
 الصلاة والتسليم عليه ﷺ ويسأل الله أن ينفعه بزيارته وأن يتقبل
 منه ، قال قوله (وأن يكثّر من الصلاة .. الخ) ، هل الإكثار منها
 أفضل منه بقراءة القرآن أو عكسه ، وكذا يقال في ليلة الجمعة وبحوفا
 مما طلب فيه الإكثار من الصلاة والسلام عليه ﷺ أو هما مستويان ؟
 كل محتمل وكلامهم في باب الجمعة ربما يوميء إلى الآخر ، والظاهر
 أن الإكثار من الصلاة والسلام عليه في ذلك أفضل ، لأن ذلك ذكر
 طلب في محل مخصوص ، وقد قالوا : إن القراءة إنما يكون أفضل من

الذكر الذي لم يحص ، أما ما يخص فهو أفضل منها ، وهذا منه ،
انتهت عبارته .

وقال الإمام الغزالي : تلاوة القرآن أفضل للخلق كلهم إلا الذاهب
إلى الله تعالى فمداومته على الذكر أولى اهـ .

وقال في (ذخيرة المعاد) : قال بعض العارفين إن الحال يختلف
بحسب اختلاف الذاكر فمضى وحد أنساً صادقاً بالقرآن كان الاشتغال به
أفضل ، أو بغيره من الأذكار فهو أولى ، قال : وهذا مسلك عدل إذ لا
ريب أنه إذا ظهرت النفس من درن الرعونات ، وصفت من أكنار
الأمعير والشهوات ، وانجملت عن بصيرتها غشاوة الكشائف المائعة من
عمود نورها إلى الحقائق فصارت مدركة لغامض أسرار الغيوب اللاتق ،
انكتافها لها بإذن الوهاب الخالق ، يوافق صاحب هذا النفس الطاهرة
وارد الوقت مما يطلبه منه أي نوع كان من قراءة وذكر وصلاة على النبي
ﷺ ، لأنه حيثئذ من رجال ۞ والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
سُبُلَنَا ۖ ، فليج حضرة القرب من أبواب مفتوحة حسبما يدعو هاتق
العناية إلى الملاحظة لجميع شؤونه ، فلا يستغرق وقته إلا بما يطلبه منه
وارده ، فالأولى في حقه بكنه الهمة والقلب الحاضر ، الإقبال على
تلاوة الكتاب العزيز ، الجامع لأصناف الدلالة على من أنزله تعالى ،
مراعياً حقوق القرآن معطي التلاوة حقها حافظاً حضرة الحرمه التي
دعي لها ، وأما الصلاة على النبي ﷺ فهي من أنجح وسائل الطالبين ،

وأنفع الأسباب الموصلة إلى مقامات السابقين ، فينبغي أيضاً اغتنام
بركتها بالاشتغال بها حسيماً يمكن ، مع كمال الحضور وملاحظة
المصلى عليه ، والتأهل بالتأدب الحقيقي لما يقتضيه سلطان حصرها
مما لديه ﷺ .

وأما ما ذكره من أفضلية الاشتغال بالأذكار المخصوصة بوقت
على الاشتغال بالدلاوة في ذلك الوقت فلا ينافي أفضلية ذات القرآن
الكرمه على سائر الأذكار كما أفصح به الأحاديث الثابتة المعروفة في
مظاهرها من كتب السيرة المطهرة ، لأن ثواب اتباعه ﷺ يربو على ثواب
الاشتغال به ذكر الحكيم كما نصوا عليه ، وسر ذلك أن جميع الأذكار
إلى من الله تعالى بها لمعالجة الأمراض الكامنة في بواطن الخلق المكونة
من سائر الأعيار على صفحات القلوب ، والطبيب أدرى بموقع
الدواء ومخاذه وإخراج عرق الداء من أصله على ما ينبغي ويليقي ، وهو
الطيب الأعظم والحكيم الأكرم ﷺ ، فلذلك كان اتباعه أشرف وأجدى
مما تخيله القاصرون أنه أذكى لديه بحسب ما تقتضيه ظنونهم وتخيله
خيالاتهم الغير المعصومة ، وشتان ما بين من عصمه الله في جميع
أحواله وعلومه وظنونه وتولى في سائر شؤونه ﷺ وبين من جعله هدفاً
لنبال الخطأ ونوع له أنواع التشابهات ابتلاء وفتنة ، فمن آمن بأنه ﷺ
إمام العارفين معرفة صادقة بما يصلح لكل إنسان في كل زمن وما
يطلبه منه وقته وحاله وما يوجب إسباغ النعم الإلهية ودوامها عليه
ظاهراً وباطناً عاجلاً وآجلاً صرح بمفهومه وظنونه وعلومه وكشوفاته ،

واعترف بأن الناكب عن سنته في طريق العلوم وسبيل الأعمال وصراط
الأذكار ومنهج الدعوات وشرعة الإسلام ، يكون محروماً شقيماً وضالاً
مضلاً تاركاً للإتباع متمسكاً بالإبتداع ، وفقنا الله لاتباعه وجعلنا من
كمل أتباعه ﷺ ، آمه .

وقال الشيخ أبو العباس التجاني فيما نقله عن إمامته تلميذه علي
حرازم في (خواهر المعاني) عن النبي ﷺ أن جبريل عليه السلام
أخبره عن الله تعالى أنه عز وجل يقول : من صلى عليك صليت
عليه ، قال ﷺ : وحق لمن صلى الله عليه أن لا يعذبه بالنار .

ومن هذه الحثية أن الصلاة عليه ﷺ في حق الفاسق أفضل له من
تلاوة القرآن ، لأنها شافعة له في إفاضة رضا الرب عليه ومحققها
لذنوبه وإدخاله في زمرة أهل السعادة الأخروية ، ولا كذلك القرآن فإنه
وإن كان أفضل منها لكنه محل القرب والحضرة الإلهية يحق لمن حل
فيها أن لا يتجاسر بشيء من سوء الأدب ، ومن تجاسر فيها بسوء
الأدب ، استحق من الله اللعن والطرده والغضب ، لأن حملة القرآن أهل
الله فيهم مؤاخذون أكثر من غيرهم بأقل من مثاقيل الذر إلا أن تكون
له من الله عناية سابقة بمحض الفضل فتكون له عصمة من ذلك ، فبان
لك أن الصلاة على رسول الله ﷺ في حق الفاسق أنفع له من تلاوة
القرآن ، فإن القرآن مرتبة النبوة تقتضي الطهارة والصفاء ، وتوفية
الآداب المرضية والتخلق بالأخلاق الروحانية ، فلذا يتضرر العامة

تلاوته لبعدهم عن ذلك ، وأما الصلاة عليه ﷺ فليس فيها إلا التلطف بها باستصحاب عظيم النبي ﷺ بحاله يلقى بنالهما من الطهارة الحسنة بوباً وحسداً ومكاناً ، ولاؤها باللفظ المعهود من الشريعة من غير حق ، فإِنَّ الله سبحانه وتعالى قدس لسانها أن يقول عليه . ومن مدلى الله عليه مرة لا بعده اهـ

مسألة

سـر الشهادتين الرملية هل الأفضل الاستغفار أو الأشعر
 - صلواته وسلامه على النبي ﷺ أو يفرق بين من علم طاعته والصلاة
 - فصل - معاصيه فالاستغفار أفضل ؟

فاجاب - لا اشتغال بالصلاة والسلام على النبي ﷺ أفضل
 من الاستغفار بالاستغفار مطلقاً . انتهى من فتاويه .

سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين . ص ٣٩ - ٤١

مقام الخالق و مقام المخلوق

إن الفرق بين مقام الخالق والمخلوق هو الحد الفاصل بين
الكبر والجهل ، ويعتقد أن من خلقت هذه المقامات قد
والله والحمد

ولكن من مقام المخلوق ، ولكن هناك أموراً تدفع في هذا الباب
وخصوصاً من حيث المخلوق بالشيء ، وحسناته التي تدفع عن غيرة من
يسر ورفعه عليهم ، وهذه الأمور قد تشبه على بعض الناس لتفسير
غريبه وصعق مكرهم وصيق نظره وسوء فهمهم ، فيبادرون إلى
حكمه وذكره على أصحابها وإخراجهم عن دائرة الإسلام فتأمنهم أن
في ذلك تحدياً بين مقام الخالق والمخلوق ، ورفعاً لمقام النبي ﷺ إلى
مقام الألوهية ، وإنا نبرأ إلى الله سبحانه وتعالى من ذلك .

وأما فصل الله تعالى نعرف ما يجب لله تعالى ، وما يجب
لرسوله ﷺ . ونعرف ما هو محض حق لله تعالى ، وما هو محض حق
لرسوله ﷺ ، من غير غلو ولا إطرأ يصل إلى حد وصفه بخصائص
الربوبية والألوهية في المنع والعطاء والنفع والضرر الاستقلالي - دون
الله تعالى - والسيادة الكاملة والهيمنة الشاملة والخلق والملك
والتيدير والتفرد بالكمال والجلال والتقديس والتفرد بالعبادة بمختلف
أنواعها وأحوالها ومراتبها .

أما القلوب الذي يعني التفعالي في محبته وطاعته والتعلق به ،
فهذا محبوب ومطلوب ، كما جاء في الحديث : « لا تطروني كما
أطرت النصارى ابن مريم » .

والمعنى أن إطراءه والتفعالي فيه والشاء عليه بما سوى ذلك هم
محمود ، ولو كان معناه غير ذلك لكان المراد هو النهي عن الإطراء
ومدحه أصلاً ، ومعلوم أن هذا لا يقوله أهل حاهل في المسلمين ، فإن
الله تعالى عظم النبي ﷺ في القرآن بأعلى أنواع التعظيم ، فيجب
عليه أن يعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه .. نعم يجب علينا
أن لا نضعه شيء ، من صفات الربوبية ، ورحم الله القائل حيث قال :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فليس في تعظيمه ﷺ بغير صفات الربوبية شيء من الكفر
والإشراك ، بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات ، وهكذا كل من
عظمهم الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين ، وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين ، قال الله
تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾
الآية . وقال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ
تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ الآية .

ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه

السلام ، فإنها أحجار ، وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت
ومن الركن السامي وتقيل الحجر الأسود وبالصلاة خلف المقام
وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم ، ونحن في ذلك
كله لم نعبد إلا الله تعالى ، ولم نعتقد تأثيراً لغيره ولا نفعاً ولا ضرراً ،
ولا سبب شيء ، من ذلك لأحد سوى الله تعالى

مقام المخلوق :

أمر هو تروية وما نعتقد أنه تلاءم بشر يجوز عليه ما يجوز على
غيره من الشر من حصول الأعراض والأمراض التي لا تروى القصر
واسع ، كما قال صاحب العقيدة :

وحائر في حقهم من عرض

بغير نقص كخفيف المرح

وأنه ﷺ عبد لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا
شوراً إلا ما شاء الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً
وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ
وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .
الأعراف : ١٨٨ .

وأنه ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة
وحاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين ، فانتقل إلى جوار ربه راضياً

مرضياً ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .

وقال ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهُمْ
الخالدون ﴾

والعبد لله هو أشرف صفاته عليه السلام ، ولذلك فإنه يفتح بها ويعمل
« إيماناً عذراً » وودعه الله بها في أعلى مقام : ﴿ سَتَجِدُنَا فِي
سِرِّ بَعْدِهِ ﴾ الآية ، وقال ﴿ وإياه لما هَامَ عَسَدُ اللَّهِ بِدَعْوِهِ كَادُوا
مَكُونُونَ عِندَهُ لِسَدّاً ﴾ الآية

و سريره هي عس إعجازه فهو بشر من جنس البشر ، لكنه متميز
عنه لا يلحقه به أحد منهم أو يساويه كما قال عليه السلام عن نفسه في
حديث الصحيح : « إني لست كهيتتكم إني أبيت عند ربي يطعمني
وسقيني »

وبهذا ظهر أن وصفه عليه السلام بالبشرية يجب أن يقتصر بما يميزه عن
عامية البشر من ذكر خصائصه الفريدة ومناقبه الحميدة ، وهذا ليس
حاصلاً به عليه السلام ، بل هو عام في حق جميع رسل الله سبحانه وتعالى
لتكون نظرتنا إليهم لائقة بمقامهم ، وذلك لأن ملاحظة البشرية العادية
المجردة فيهم دون غيرها هي نظرة جاهلية شركية ، وفي القرائن شواهد
كثيرة على ذلك ، فمن ذلك قول قوم نوح في حقه فيما حكاه الله
عنهم إذ قال : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا سَرَا
مَثَلًا ﴾ الآية ، سورة هود : ٢٧ .

ومن ذلك قول قوم موسى وهارون في حقهما فيما حكاه الله عنهم
إذ قال : ﴿ قَالُوا أَنْتُمَا لَبِشْتُمَا عَلَيْنَا وَقَوْمَهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾
المؤمنون : ٤٧ .

ومن ذلك قول ثمود لنبيهم صالح لما حكاه الله عنهم بقوله
﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ سورة
الشعراء : ١٥٤ .

ومن ذلك قول أصحاب الأتربة لنبيهم شعيب لما حكاه الله عنهم
يقوله ﴿ فَأْتُوا بِصَافِحَةٍ مِنَ الْمَسْحُورِينَ . وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ
مِثْلُكَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ سورة الشعراء : ١٨٦ .

وعن ذلك قول المشركين في حق سيدنا محمد ﷺ لما رأوه بعين
البصرة المجردة فيما حكاه الله عنهم بقوله : ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا
الرَّسُولُ يَا كُلُّ الطَّعَامِ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ الآية ، ولقد تحدث
رسول الله ﷺ عن نفسه حديث الصدق بما أكرمه الله تعالى به من
عظيم الصفات وخوارق العادات التي تميز بها عن سائر أنواع البشر .

فمن ذلك ما جاء في الحديث الصحيح أنه قال : « تنام عيناى ولا
ينام قلبي » ، وجاء في الصحيح أنه قال : « إني أراكم من وراء
ظهري كما أراكم من أمامي » .

وجاء في الصحيح أنه قال : « أوتيت مفاتيح خزائن الأرض » .

وهو ﷺ وإن كان قد مات إلا أنه حي حياة برزخية كاملة يسمع الكلام ويرد السلام وتبلغه صلاة من يصلي عليه وتعرض عليه أعمال الأمة فيفرح بعمل المحسنين ويستغفر للمسيئين ، وأن الله حرم على الأرض أن تأكل جسده فهو محفوظ من الآفات والعوارض الأرضية .

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : من أفضل أيامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليّ » ، قالوا : يا رسول الله ! كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني : بليت ؟ فقال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه .

وفي ذلك رسالة خاصة للحافظ جلال الدين السيوطي أسماها « إنباء الأذكيا بحياة الأنبياء » عليهم الصلاة والسلام .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض عليّ أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم » . قال الهيثمي : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام » . رواه

أحمد وأبو داود .

قال بعض العلماء : رد عليّ رُوحِي أي نطقي .

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ :
إن الله وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماء الخلائق ، فلا يصلي عليّ أحد
إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه ، هذا فلان بن فلان قد
صلى عليك » . رواه البزار وأبو الشيخ ابن حبان ولفظه : قال رسول
الله ﷺ : « إن لله تبارك وتعالى ملكاً أعطاه الله أسماء الخلائق فهو
قائم عليّ قبري إذا مت ، فليس أحد يصلي عليّ إلا قال : يا محمد !
صلى عليك فلان بن فلان ، قال : فيصلي الرب تبارك وتعالى عليّ
ذلك الرجل بكل واحدة عشراً » رواه الطبراني في الكبير بنحوه .

وهو ﷺ وإن كان قد مات إلا أن فضله ومقامه وجاهه عند ربه
باق لا شك في ذلك ولا ريب عند أهل الإيمان ، ولذلك فإن التوسل به
إلى الله سبحانه وتعالى إنما يرجع في الحقيقة إلى اعتقاد وجود تلك
المعاني واعتقاد محبته وكرامته عند ربه وإلى الإيمان به ورسالته ﷺ ،
وليس هو عبادة له ، بل إنه مهما عظمت درجته وعلت رتبته فهو
مخلوق لا يضر ولا ينفع من دون الله إلا بإذنه .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ
وَاحِدٌ ﴾ .

أمور مشتركة بين المقامين

لا تنافي التنزيه

وقد أخطأ كثير من الناس في فهم بعض الأمور المشتركة بين المقامين مقام الخلق ومقام المخلوق فظن أن سببها إلى مقام المخلوق سرٌّ بالله تعالى.

ومررنا بعض الخصائص النبوية مثلاً التي تخطئ بعضهم في فهمها فمستوى عقائد البشرية ، ولذلك يستكثرونها ويستعظمونها على رسول الله ﷺ ، ويرون أن وصفه بها معناه وصفه ببعض صفات الألوهية وهذا جهل محض لأنه سبحانه وتعالى يعطي من يشاء وكما يشاء ، لا موحى ملزم ، وإما هو تفضل على من أراد إكرامه ورفع مقامه وإظهار فضله على غيره من البشر وليس في ذلك انتزاع لحقوق الربوبية وصفات الألوهية ، فهي محفوظة بما يناسب مقام الحق سبحانه وتعالى ، وإذا اتصف المخلوق بشيء منها فيكون بما يناسب البشرية من كونها محدودة مكتسبة بإذن الله وفضله وإرادته ، لا بهوده المخلوق ولا تدبيره ولا أمره ، إذ هو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه صراً ولا نفعا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وكم من أمور جاء ما يدل على أنها حق لله سبحانه وتعالى ، ولكنه سبحانه وتعالى من بها على ربه ﷻ وعبره .

وحسب فلا يرفعه وصفه بها إلى مقام الألوهية أو يجعله شريكاً
لله سبحانه وتعالى فمنها : الشفاعة ، فهي لله ، قال الله تعالى :
﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ ﴾ وهي ثابتة للرسول ولغيره من الشفعاء بإذن الله
كما جاء في الحديث « أوسط الشفاعة »

وحديث « أنا أول شافع ومسمع »

ومنه علم الغيب ، فهو لله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مِنْ
شَيْءٍ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، وقد ثبت أن الله تعالى
علمه سره من غيب ما علمه وأعطاه ما أعطاه ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا
يُصْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ حَدًّا ﴾ من أرضى من رسول ﴿ الآية

وعنه الهداية فهي خاصة بالله تعالى ، قال الله تعالى :
﴿ لَا تَهْدِي مَنْ حَبِطَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، وقد جاء
له عتق له شيء من ذلك ، فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴾ والهداية الأولى غير الهداية الثانية ، وهذا إنما يفهمه
العقلاء من المؤمنين يعرفون الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولولا ذلك
لاحتاج أن يقول : وإنك لتهدي هداية إرشاد ، أو أن يقول : إنك
لتهدي هداية غير هدايتنا ، ولكن كل ذلك لم يحصل ، بل أثبت له
هداية مطلقة بلا قيد ولا شرط ، لأن الموحدين منا معشر المخاطبين من
أهل الإسلام يفهم معاني الألفاظ ويدرك اختلاف مدلولاتها بالنسبة لما
أضيف إلى الله ، وبالنسبة لما أضيف إلى رسول الله ﷺ ، ونظير هذا

ما جاء في القرآن من وصف رسول الله ﷺ بالرافة والرحمة ،
 إذ يقول : ﴿المؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ﴾ الآية ، ووصف الله سبحانه
 وتعالى نفسه بذلك أيضاً في أكثر من موضع ، فهو سبحانه وتعالى
 ﴿رؤوفٌ رحيمٌ﴾ ، ومعلوم أن الرافة والرحمة الثالثة بعد الأولى ،
 ولما وصف به ﷺ بذلك الوصف وصفه به بالإطلاق بلا قيد ولا
 شرط ، لأن المحاطب وهو موحد مؤمن بالله يعلم الفرق بين الخالق
 والمخلوق ، ولولا ذلك لاحتاج أن يقول في وصفه ﷺ : رؤوفٌ برأفة
 غير رأفتي ، ورحمة برحمه غير رحمتنا ، أو أن يقول : رؤوفٌ برأفة
 حصه ، ورحمة برحمه خاصة ، أو أن يقول : رؤوفٌ برأفة بشرية ورحمة
 برحمه بشرية ، ولكن كل ذلك لم يحصل ، بل أثبت له رافة
 مصنقة ورحمة مطلقة بلا قيد ولا شرط ، فقال : ﴿المؤمنين رؤوفٌ
 رحيمٌ﴾ الآية

المجاز العقلي واستعماله

ولا شك أن المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا نُسِبَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ رَأَوْنَهُمْ إِيْمَانًا ﴾ ، فإسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلي لأنها سبب في الزيادة ، والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده .

وقوله تعالى ﴿ يَوْمًا نَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ ، فإسناد الجعل إلى اليوم مجاز عقلي ، لأن اليوم محل جعلهم شيباً فالجعل المذكور واقع في اليوم ، والحاصل حقيقة هو الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ ، فإن إسناد الإضلال إلى الأصنام مجاز عقلي لأنها سبب في حصول الإضلال ، والهادي والمضل هو الله تعالى وحده .

وقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ يَا هَامَانَ ابْنِي صِرْحًا ﴾ ، فإسناد البناء إلى هامان مجاز عقلي لأنه سبب فهو أمر يأمر ولا يبني بنفسه ، والبانى إنما هو الفعلة من العمال ، وأما الأحاديث ففيها شيء كثير يعرفه من وقف عليها ، وكان ممن يعرف الفرق بين الإسناد الحقيقي والمجازي فلا حاجة إلى الإطالة بنقلها ، وقال العلماء : إن صدور ذلك الإسناد من موحد كافٍ في جعله إسناداً مجازياً ، لأن

الاعتماد الصحيح هو اعتماد أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده ،
فهو الخالق للعباد ، أفعالهم ، لا يأنس لأحد سواه لا حتى ولا لميت
فهذا الاعتماد هو التوحيد المحض ، بخلاف ما لم يعتمد به عبدا
بغير هو المهرال

ضرورة ملاحظته المسببة في مقياس الكفر والإيمان

يرى بحسب ضوابط من أهل الصلوات بذيل شئبه فلو اهدى الله
نور نظر في سرائر والمقاصد وبدون نظر إلى الجمع بما لا يؤدي إلى
التعرض من إيراد كالقائلين بخلق القرآن تمسكوا بنحو قوله تعالى
﴿ مَا جَعَلَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ، والقائلين بالقدر تمسكوا بنحو قوله
تعالى ﴿ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ و ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ إلى غير
ذلك والقائلين بالحر تمسكوا بنحو قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا
تَعْمَلُونَ ﴾ ومارميت أذرميت ولكن الله رمى الآية .

وكشف الغطاء عن ذلك أن جميع الأمة غير القدرية على أن أفعال
العباد مخلوقة لله تعالى لقوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الآية ،
وقوله تعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ أَذْرَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ الآية ، وإن
كان يجوز أن يوصف بها العبد على وجه آخر من التعلق بغير عبده
بالاكتساب كما في قوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اِكْتَسَبَتْ ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ الآية
غير ذلك من الآيات المصرحة بإضافة الكسب إلى العبد وليس

من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط ، لأن قدرة الله تعالى في الأزل كانت متعلقة بالعالم قبل اختراعه لوجوده ، وهي عند اختراعه متعلقة به بسوء آخر من التعلق .

حقيقة نسبة الأفعال للعباد :

ومن هذا يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصاً بحصول المقدور بها ، وأفعال العباد نسبتها إليهم على الوجه الذي لا الاختراع ، لأن الله تعالى هو المخرج لها والمقدر لها والمريد لها ، ولا يرد أنه كتب بره على عباده لأمر الأمر بغير الإرادة بدليل أمره جميع الناس بالتقوى وأنه برئه من أكثرهم ، لقوله تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ الآية ، فنسبة الأفعال إلى العباد من نسبة السبب إلى السبب أو الوسطة ، وهذا لا منافاة فيه ، لأن مسبب الأشياء هو الذي خلق الوسطة وخلق فيها معنى الوسطة ، ولولا ذلك الذي أودع الله تعالى فيها لم تصلح أن تكون واسطة وسواء كانت مما لم يودع العقل كالجماد والأفلاك والمطر والنار ، أو كانت عاقلة من ملك أو إنسي أو جني .

اختلاف المعنى باختلاف النسبة اللفظية :

ولعلك تقول : لا تعقل نسبة الفعل الواحد إلى فاعلين لاستحالة اجتماع مؤثرين على أثر واحد ، فنقول : نعم ، هو كما قلتم لكن محله

إذا لم يكن للفاعل إلا معنى واحد في الاستعمال .

أما إذا كان له معنيان ، فيكون الاسم محملاً منردداً بينهما في
الاستعمال ، وحسب الإلتصاق إطلاقه على كل منهما كما هم المعلوم من
الاستعمال في الأسماء المسبوكة أو في الحفظة والمجاز كما يقال
قتل الأمير فلان ، وقول قتله السيف ، فإطلاق القتل على الأمير
معنى غير معنى أطلق به على السيف ، فقولنا إن الله تعالى
هو عز وجل هو المخترع الموجد ، وقولنا إن المخلوق فاعل فمعناه
أنه محل رضى حق الله تعالى فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة وبعد
ارتباطه بغيره ، فارتباط القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط
معلوم ، نعمة وارتباط المخترع بالمخترع ، هذا إذا كان المحل عاقلاً وإلا
فهو من ترتيب المسببات على أسبابها ، فصح أن يسمى كل ما له
ارتباط قدرة فاعلاً كيفما كان الارتباط ، كما يسمى السيف قاتلاً
باعتبار والأمير قاتلاً باعتبار ، لأن القتل ارتبط بكليهما ، وإن كان
ارتباطه على وجهين مختلفين ساغ تسمية كل منهما فاعلاً ، فمثل
ذلك اعتبار المقدورات بالقدرتين ، والدليل على جواز هذه النسبة
وتطابقها نسبة الله تعالى الأفعال إلى الملائكة تارة ، وتارة إلى غيرهم
من العباد ، ومرة أخرى نسبها بعينها إلى نفسه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ
يَسُوْفَأَكْمُ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يُتَوَفَّى
الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا
تَحْرُثُونَ ﴾ الآية ، بالإضافة إليهم ، ثم قال : ﴿ أَفَلَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً ،
ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً ، فَأَنْتُمْ فِيهَا حَبَّاءُ ﴾ الآية ، وقال تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ، وقال تعالى :
﴿ فَنفخنا فيها من رُوحنا ﴾ الآية ، فأُسند النفخ إليه مع أن النافخ
هو جبريل عليه السلام ، وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْرَأْهُ بِتِلْكَ الْوَسْطَى الَّذِي يَرَى الْعَيْنُ وَمَا يَدْرِي السَّمْعُ وَمَا يُدْرِي السَّيْفُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَلَمْ
تَقْتُلُوهُمْ وَكُنْتُمْ لِلْكَافِرِينَ أَعْيُنًا فَأَنظَرْتُمُوهُمْ فِي الْيَمِينِ ﴾ الآية .
تسمى عندهم النفيل وأنثىه لانس ، والمسمى عند الرمي ، أثبت
سنة . وليس المراد نفي الحسن من قتلهم الكفار ، فبعد لهم عليه
صدرة ولسلام بالخصيصة ، ولكن المعنى أنهم ما قتلوهم ولا رموهم
بمعنى الذي يكون الرب به قتلهم ورماهم وهو الاختراع والتقدير ،
أي بعد معنيان مختلفان ، وتارة ينسب الفعل إليهما معاً كقوله
تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ لَهُمْ آيَةً يُرْجَى أَفْئِدَةً مَخْشَوَةٌ ﴾ وقالوا حَسْبُنَا اللَّهُ
مِيتَتُنَا مِنَ قُدْرَةِ رُسُلِهِ ﴾ الآية .

فدوت عائشة رضي الله عنها : أن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن
يخلق الخين يبعث ملكاً فيدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها
حسداً ، فيقول : يارب ! أذكر أم أنثى ؟ أسوي أم معوج ؟ فيقول
تعالى ما شاء ، ويخلق الملك ،

وفي لفظ آخر : فيصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو
بالشقاوة .

فإذا فهمت هذا اتضح لك أن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة

ولا تناقض بينها ، ولذلك الفعل ينسب تارة للجماد ، كما في قوله تعالى ﴿ نُوْنِيَ أَكْلَهَا كُلِّ حَسَنٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ الآية ، فالشجرة لا تنأوي منها الأنهار بغيرها ، وكما في قوله ﷺ للذي ناوله قمرة خدها ، لو لم يصبها لأنتك الحديث كما في القطع أي داس حبان في صاعده لا يدرى كيف إلى الرجل وإلى السعة بمعنى السمان السعة عند معمر بن رزيق في أنهار منها محاران مختلفان في الأسماء فذكر صرو عن ابن عباس عن الرجل بمعنى أن الله خلق فيه العدد ، لا يدرى لئلا يدرى عن رزق السعة بمعنى أن الله بسبب من يأتي بها ، والخليفة لا يدرى صاعده لا يدرى إلى الله تعالى في كل منهما ، ولأجل اختلاف الأصناف في الوسائط تارة تكون ملاحظة الوسائط في الأفعال كفرا كما في حوت فاروق لموسى عليه الصلاة والسلام بقوله : ﴿ إِنَّمَا أَوْتِيْتُهُ عَمَى عَمَى ﴾ الآية وكما في حديث : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر » أما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب « وهذا الكفر باعتبار أن الوسائط مؤثرة ومختصرة .

قال النووي : اختلف العلماء في كفر من قال : مطرنا بنوء كذا على قولين ، أحدهما : هو كفر بالله تعالى سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام ، قالوا : وهذا فيمن قال ذلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر مشيء للمطر ، كما كان بعض أهل الجاهلية يرغم ، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره ، وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير

العلماء ، والشافعي منهم وهو ظاهر في الحديث ، قالوا وعلى هذا لو
قال مطرباً يسوء كذا معتقداً أنه من الله تعالى وبرحمته ، وأن النوء
مضاف له وعلامته اعتباراً بالعادة ، فكأنه قال مطرباً في وقت كذا ،
فهذا لا يكفر

واحتلوا في كراهته لكسها كراهه يسوء لا إثم فيها ، وسبب
لكراهه أنها كسبه يسوء ، ير الكفر ، يسوء فساء الظن بمساحتها ،
ولأنه يسوء الحاشية ومن سبب مسألتهم

وأشهر من هو صلى وأول الحديث أن المراد كفر نعمة الله
بمن لا قصور عن صدقة العيث إلى الكوكب ، وهذا فيمن لا يعتقد
بسر كوكب وسواء هذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب : أصبح
من سر ذكر وكافر وفي الرواية الأخرى : ما أنزل الله تعالى من
سما من مكة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، فقله .
بها يسر على نه كفر النعمة ، والله أعلم . اهـ .

والخاصل أن من نسب الفعل إلى الوساطة لا يكفر إلا إذا اعتقد
أنها هي الفاعلة المدبرة المخترعة ، وإذا لم تكن ملاحظة الوساطة بهذا
الاعتبار بحيث أن الوساطة علامة أو ظرف الخلق المقدور فيها فلا كفر ،
بل تارة يتدب الشرع إلى ملاحظتها كقول النبي ﷺ : « من أسدى
اليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم
قد كافأتموه » .

وقوله ﷺ . « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » .

وذلك لأن ملاحظة الواسطة بهذا الاعتبار لا ينافي رؤية الملة لله سبحانه وتعالى ، وقد أثنى الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم ، بل وأثابهم عليها وهو الباعث لإرادتهم لها ، والخالق لمدرهم عليها كقوله تعالى : ﴿ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ شَدَّاسُخٍ مِّن رَّشَاهَا ﴾ الآية

وإذا ظهر ذلك أثر الفعل في سبب العلم ، وحده بحقيقة فلا تنافي بينه وبين العلم ، فالعلم هو العلم بالعلم ، فالعلم هو العلم بالعلم

فإن علمي آدم من العبادات ، والعبد ، أو مع من الكتب ، وهو رافع مع حقيقة اللفظ دون المجرى ، لم نجد إلى الجمع بين صوص أو الفرقه من حواز ، ألا ترى إلى ما أخبر الله تعالى به عن راحه عليه الصلاة والسلام من قوله : ﴿ رَبِّ اِهْبِزْ اصُّرْ كَيْدَ مَنِ النَّاسِ ﴾ الآية ، أتزى إبراهيم يشرك مع الله تعالى الخاء وهو الخاء ﴿ اتَعْبُدُونِ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ولا مر جامع في ذلك أن من أشرك مع الله جل جلاله غيره في الاختراع والتأثير فهو مشرك ، سواء كان الملحوظ معه جماداً أو آدمياً نبياً أو غيره ، ومن اعتقد السببية في شيء من ذلك اطردت أو لم تطرد ، فجعل الله تعالى لها سبباً لحصول مسبباتها ، وأن الفاعل هو الله وحده لا شريك له فهو مؤمن ولو أخطأ في ظنه ما ليس بسبب سبباً ، لأن حظاً في السبب لا في المسبب الخالق المدبر جل جلاله وعظم شأنه .

التعظيم بين العبادة والأدب

يحظى كثير من الناس في فهم حقيقة التعظيم وحقيقة العبادة ،
 بخلطون بينهما خلطاً شاملاً ويعتبرون أن أي نوع من أنواع التعظيم هو
 عبادة للمعظم . والفرق بين التعظيم الذي هو عبادة الله تعالى
 وبين ما هو عليه من أنواع التعظيم ، هو الفرق بين الربوبية والآداب ، وكل ذلك
 هو عبادة الله تعالى التي هي العبادة الحقيقية ، وهذا هو المعنى الحقيقي
 للعبادة ، وهو ما لا يخلو من عبادة الله تعالى ، وكل ذلك هو العبادة
 الحقيقية .

نجد في القرآن الكريم ، وأول عبادة الله الصالحين من هذا
 جنس من الجن الذين آمنوا بالله تعالى الملائكة بالسجود له إكراماً وتعظيماً لما أتاه من
 ربه من آياته . وحطفتهم من بين سائر مخلوقاته ، قال تعالى : ﴿ وَأَدْبَارُ
 الْقُرُونِ لِلَّهِ عِنْدَهُ أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَإِذَا تُرْجَعُونَ إِلَى آثَارِ أُولَى الْأَوَّلِينَ ﴾ . وفي آية
 أخرى قال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ الآية ،
 وفي آية أخرى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ
 مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ فالملائكة عليهم السلام عظموا من عظمه الله ،
 وإبليس تكبر أن يسجد لمن خلق من طين ، فهو أول من قاس
 الدين برأيه وقال : (أنا خير منه) ، وعلل ذلك بعله خلقه من نار

وخلق آدم من طين ، وأنف من تكريمته عليه واستنكف من السجود
له ، فهو أول المتكبرين ولم يعظم من عظمه الله ، فطرد من رحمة الله
لتكبره على هذا العبد الصالح وهو عن التكبر على الله ، لأن السجود
إنما هو لله إذا هو بأمره ، وإنما جعل السجود له تشريفاً وتكهماً له
عليهم ، وكان من المومنين فلم ينفعه توحيدهم .

ومما جاء في معظم العمال من قول الله تعالى في حق يوسف عليه
السلام : ﴿ وَرَفَعَ آيُوْبُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا ﴾ الآية ،
تحية وتكريماً وتشريفاً وتعظيماً له عليهم والسجود من إخوته له إلى
الأرض يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَخَرُّوا ﴾ ، ولعله كان جائزاً في
شرعهم أو كسجود الملائكة لآدم عليه السلام تشريفاً وتعظيماً
وامتثالاً لأمر الله تأويلاً لرؤيا يوسف إذ رؤيا الأنبياء وحي .

أما بينا محمد ﷺ فقد قال الله تعالى في حقه : ﴿ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَاحِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ
وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ الآية ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الآية ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الآيات الثلاث ، وقال تعالى : ﴿ لَا
تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾ الآية ، ونهى عن
التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام ، قال سهل بن عبد
الله : لا تقولوا قبل أن يقول ، أي لا تتكلموا قبله ، وإذا قال

يَنْصَحُوا لَهُ وَأَنْصَحُوا ، وَقَالَ : نَهَوَا عَنِ التَّقَدُّمِ وَالتَّعَجُّلِ بِقَضَاءِ أَمْرِ
 فِي قَضَائِهِ فِيهِ ، وَأَنْ يَفْتُوا بِشَيْءٍ فِي ذَلِكَ مِنْ قِتَالٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَمْرِ
 بِهِمْ إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَا يَسْقُودَ بِهِ ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ وَحَذَرَهُمْ مِنْ مَخَالَفَةِ ذَلِكَ
 بِقَالَ : * وَأَيُّهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ سَمِعَ عِلْمِي * ، قَالَ السَّلْمِيُّ : اتَّقُوا
 بِهِ فِي إِعْمَالِكُمْ حَقَّهُ ، وَدَسَّعَ حُرْمَتَهُ إِيَّاهُ سَمِعَ لِقَوْلِكُمْ ، عِلْمِي بِفَعْلِكُمْ ،
 بِهِ يَدْعُوهُ عَنِ رِشْمِ الْقُصُوفِ قُصُوفُ رُسُومِهِ وَالْجَهْدُ لَهُ بِالْقَوْلِ كَمَا يَجْهَدُ
 بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَرِشْمُ رُسُومِهِ ، وَقَالَ : كَمَا سَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا
 رُسُومُهُ قَدَرٌ سَوِيٌّ مَحْمُودٌ مَكْنِيٌّ أَيْ لَا يَسَابِقُوهُ بِالْخِلَاءِ ، فَعَلِمُوا لَهُ
 رِشْمُ رُسُومِهِ سَادَى رُسُومَهُ نَدَاءٌ بِعُضُوكُمْ لِبَعْضٍ وَلَكِنْ عَظُمُوهُ وَوَقَرُوهُ
 رُسُومُهُ شَرَفٌ مَرَحَبٌ أَوْ يَنَادِي بِهِ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَهَذَا
 كَثُوبُهُ فِي آيَةِ الْآخِرَى : * لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ
 بَعْضِكُمْ بَعْضًا * الْآيَةُ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : لَا تَخَاطَبُوهُ إِلَّا مُسْتَفْهِمِينَ ، ثُمَّ
 حَذَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِحَبُوطِ أَعْمَالِهِمْ إِنْ هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَحَذَرَهُمْ مِنْهُ ..
 دَلَالِيَّةٌ بَرَلَتْ فِي حِمَاةِ أَتَوَا النَّبِيَّ ﷺ فَنَادَوْهُ يَا مُحَمَّدُ أَخْرِجْ إِلَيْنَا ،
 فَدَمِنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَهْلِ وَوَصَفَهُمْ بِأَنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .

يَقُولُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي
 مِنْهُ إِحْلَالًا لَهُ ، وَلَوْ سَأَلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي
 مِنْهُ . (رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ ، كِتَابُ الْإِيمَانِ بَابُ كَوْنِ الْإِسْلَامِ
 بِهِمْ مَا قَبْلَهُ)

وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس ، فيهم أبو بكر وعمر ، فلا يرفع أحد منهم إليه يصره إلا أبو بكر وعمر ، فإنهما كانا ينظران إليه وسطر إليهما ، ويسلمان الله ويسلم لهما

وروى أسامة بن شريك قال : أسب السبي نالاه ، وأصحابه حولي كنت على رؤوسهم الضرع ، وفي صفته : إذا تكلم أطرق جلساءه كما نحو رؤوسهم لظفر

وقد عروا من مسعود حين وجهته قريش عام الحديبية إلى رسول الله ﷺ ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى ، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، وكانوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخم نخامة إلا تنقوها بأكفهم فدلکوا بها وجوههم وأجسادهم ، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها ، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له ، فلما رجع إلى قريش قال : يامعشر قريش ! إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه .

وفي رواية : إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً أصحابه وقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً .

وأخرج الطبراني وابن حبان في صحيحه عن أسامة بن شريك رضي

الله عنه قال « كما حلوا رباً عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير ، ما يذكلم منا من ذلكم ، إن حاربه أباس فقالوا : من أحب عباد الله إلى الله فعالموا ، وإن أحبهم حلوا » (كذا في التلخيص ج ٤ ص ٨٧) وفي رواية الطبراني في حال صحيح بهم في الصحيح

و حرج سبهق عن الزهري قال : « حدثني من لا أتهم من أنصار رسول الله ﷺ ورجلهم من البراءة من عادات ، فهي الله عنه في كذا كذا ، إن أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر فإخذه مني من عهده »

و حرج سبهق عن الزهري قال : « حدثني من لا أتهم من أنصار رسول الله ﷺ كان إذا توصاً أو تنخم ابتدروا بخامته فصحوا بها وحوهم وحلودهم ، فقال رسول الله ﷺ : لم تفعلوا هذا قالوا بلتمس به البركة ، فقال رسول الله ﷺ : من أحب أن يحبه الله فليصدق الحديث وليؤد الأمانة ولا يؤذ حاره » (كذا في الكترج ٨ ص ٢٢٨)

والحاصل أن هنا أمرين عظيمين لا بد من ملاحظتهما ، أحدهما : وحب تعظيم النبي ﷺ ورفع رتبته عن سائر الخلق ، والثاني : أفراد الربوبية واعتقاد أن الله تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه ، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الألوهية للأصنام واستحقاقها العبادة ، ومن قصر بالرسول ﷺ عن شيء من

مرتبه فقد عصى أو كفر .

وأما من بالغ في تعظيمه ﷺ بأنواع التعظيم ، ولم يصفه بشيء من صفات الباري عز وجل فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة حميماً ، وذلك هو القول الذي لا إغراء فيه ولا تفريط .

وإذا وجد شيء كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله تعالى يجب حماة على المحار المعلن ولا سبيل إلى تكفيرهم ، إذ المجاز العقلي يستعمل في الكتاب والسنة

الواسطة الشركية

يحطون كثير من الناس في فهم حقيقة الواسطة فيطلقون الحكم هكذا خطأ بأن الواسطة شرك ، وأن من اتخذ واسطة إلى كعبته كانت فقد أشرك بالله ، وأن شركه في هذا شأن المشركين العالمين ١ ما بعدهم ٢ سكرتوت إلى الله رلقى ٣ ، وهذا الكلام مكرر وإن سكرتوت رآه في غير محله ، وذلك لأن هذه الآية الدالة على ما وجد هو ما ذكره عسى المشركين عبادتهم للأصنام واتحادها الله من دونه عسى ربي شركهم ٤ في دعوى الربوبية على أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله رلقى ، فكفرهم وإشراكهم من حيث عبادتهم لها ومن حيث اعتقادهم أنها أرباب من دون الله .

وهذه المسألة قد بسطنا القول فيها في بحث (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ، وحاصل ذلك وهو ما تفيد الآية هو أن الواسطة تنقسم إلى قسمين : واسطة شركية وواسطة إيمانية أو قل واسطة معبودة وواسطة محبوبة أو قل واسطة ممنوعة وواسطة مشروعة .

فالواسطة الأولى وهي الشركية المعبودة المموعة هي التي كان يتخذها المشركون ويعتقدون أن هذه الواسطة تقربهم من الله زلفى فيوجهون العمل والقول والطلب من دعاء ونذر وذبح وغير ذلك بنية العبادة لمن اتخذوهم أرباباً ومعلوم أن الأعمال والأقوال لا تكون عبادة

إلا إذا قاربها اعتقاد الربوبية أو اعتقاد خُصيصية من خصائصها في
معبوداتهم وهم وإن لم يعتقدوا لأربابهم خلقاً ولا رزقاً ولا تدبيراً
للأمر العظام فإنهم يعتقدون فيهم بعض خصائص الربوبية بإثبات
المشيئة السافذة لهم في أمور أهل الأرض بالتصرف فيهم استقلالاً تفعلاً
وضراً ونصراً وإعطاءً وسعاً وشراءً في الملك والربوبية والمودعة عندهم
عليه تعالى بحكمه شرائكتهم في الربوبية كما قال تعالى : ﴿ شَرِيعَةً
الَّذِينَ رَعَوْهُ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ فَسَبَّ الدُّمْرُ عَنْهُمْ وَلَا يُخَوَّلَهُمْ فِيهِ الْإِلَهَ
دَلِيلٌ عَلَى أَنْ دَعَاءَ الْمُشْرِكِينَ كَانَ مَصْحُوباً بِاعْتِقَادِ الْمُشْرِكِينَ لِإِلَهَتِهِمْ
صَحَّتِ الرُّبُوبِيَّةُ مِنْ ضَرِّ وَنَفْعٍ .

أما الواسطة الثانية وهي الواسطة الإيمانية فهي الواسطة المشروعة
المحيرة المطلوبة ، وهذه الواسطة لا بد منها وينبغي عليها أمر الكون
وتقوم عليها الشرائع والديانات .

ومن هذه الوسائط الرسل والأنبياء والملائكة وما أمرنا بالرجوع
إليه والتوسل به إلى الله محبة ومودة لا عبادة واعتقاداً ويدخل في
ذلك توسلات الموحدين وجعل الأنبياء والصالحين واسطة بينهم وبين الله
في قضاء الحوائج والشفاعة .

وهؤلاء لم يوجهوا ذلك إلى الوسيلة بنية العبادة له ولا باعتقاد
أنهم أرباب ولا باعتقاد أن لأحد مع الله فعلاً أو تركاً بل مجرد أسباب
للطلب منه تعالى بواسطتهم دعاء وشفاعة وتوسلاً إليه بأنبيائه

وبالصالحين ويحسون الله بالعبادة دون غيره ويعتقدون أنه المالك للصر
والنعم ولكل خصائص الربوبية

الأسرى أن الله لما أمر المدحمة بالعبادة الكعبية في صلاتهم
برحبها بعبادتهم إليها واحدها قلبه ، وليس العبادة لها ، وتقبل
لغير الأسوة التي هو عبادة الله تعالى ، وهذا ، بالشيء ، والبر
من المستور سوى العبادة لهما لكان مشركاً كعبه الآخر

تعد ، بوسطه ، وأند منها وهي ليست شركاً وليس كل من اتخذ
سواء ربه وسطه يعتبر مشركاً ، وإلا لكان البشر كلهم مشركين
ربه ، لأن موره جميعاً تنسب على الواسطة ، فالنبي ﷺ تلقى القرآن
بواسطة جبريل ، فجبريل واسطة للنبي ﷺ ، وهو ﷺ الواسطة
معصية للصحة رضي الله تعالى عنهم ، فقد كانوا يفزعون إليه في
شدائد فيشكون إليه حالهم ويتوسلون به إلى الله ويطلبون منه
الدعاء ، فما كان يقول لهم أشركتم وكفرتم فإنه لا يجوز الشكوى إلى
ولا الطلب مني بل عليكم أن تذهبوا وتدعوا وتسالوا بأنفسكم فإن الله
أقرب إليكم مني ، لا ، بل يقف ويسأل مع أنهم يعلمون كل العلم أن
المعطي حقيقة هو الله ، وأن المانع والباسط والرازق هو الله ، وأنه ﷺ
يعطي بإذن الله وفضله ، وهو الذي يقول : « إنما أنا قاسم والله
معطي » ، وبذلك يظهر أنه يجوز وصف أي بشر عادي بأنه فرج الكربة
وقضى الحاجة أي كان واسطة فيها ، فكيف بالسيد الكريم

والنبي العظيم أشرف الكونين وسيد الثقلين وأفضل خلق الله على الإطلاق : ألم يقل النبي ﷺ كما جاء في الصحيح : « من فرح عن مؤمن كرهه من كره الدنيا » إلخ ؟ فالمؤمن ملوح الكربات

ألم يقل ﷺ « من قدسى لأحد حاجة كسد وألفاً بعد مبراهة فإن ربح وإلا شدة له » ؟ فالمؤمن قاض للحاجات .

ألم يعمل شي الصحيح : « من ستر مسلماً » .. الحديث ؟

ألم يقل النبي ﷺ : « إن لله عز وجل خلقاً يفرع إليهم في حاج » ؟

ألم يقل في الصحيح : « والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » ؟ .

ألم يقل في الحديث : « من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وتسعين حسنة » ؟ رواد أبو يعلى والبزار والبيهقي .

فالمؤمن هنا فرج وأعان وأغاث وقضى وستر وفرع إليه مع أن المفرج والقاضي والستار والمعين حقيقة هو الله عز وجل ، لكنه لما كان واسطة في ذلك صح نسبة الفعل إليه .

وقد جاء عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تفيد أن الله سبحانه وتعالى يدفع العذاب عن أهل الأرض بالمستغفرين وعمار المساجد ، وأن الله سبحانه وتعالى يرزق بهم أهل الأرض

ويعصروهم ويعصرف عنهم السلاء والفرق .

روى الطبراني في الكسر والسهق في السنن عن مانع الديلمي رضي الله تعالى عنه أنه قال قال النبي ﷺ : « لولا عباد لله ركع وصلاه وصوم وبهائم ربيع لعذب ملكهم العذاب مساً ثم رضى رصاً » .

وروى السجستاني عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « عمل سبعين سنة ولم يفرق بين الله وبين خلقه لم يزل يعبث بهم » .

وروى سمرقندي في صحاحه الحاكم عن ابن أبي عمير رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : « لعلك تفرق به » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله عز وجل خلقهم لحوائج الناس يفرغ إليهم الناس في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله تعالى » ، رواه الطبراني في كسر وأبو يعين والقضاعي وهو حسن .

وعن حابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله عز وجل ما دام فيهم » . أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢ / ٣٤١ ، وأخرجه النسائي في المواعظ من السنن الكبرى كما في التحفة ١٣ / ٣٨٥ ، ورجال إسناده رجال الصحيحين غير شيخ النسائي وهو ثقة وفيه كلام .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يلدوكم بالمسلم العاصح عن مائه أهل بيت من حرانه بلاء » ثم قرأ ابن عمر ﴿ وَلَوْ رَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِسَدَ الْأَرْضُ ﴾
الآدم رياء العاصح

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لا يزال فلككم يسعدكم
بصبركم وبهم فطرتهم وبهم برهمون حتى تأمر الله .

زجر عذراء بر الصليب رضى الله عنه قال . قال تعالى : « الأبدال
فى عسى - لا ترون ، بهم تررقون وبهم تمطرون وبهم تنصرون »
در فداء ابنى لأرحوا أن يكون الحسن منهم » ، رواه الطبرانى

ذكر هذه الأحاديث الأربعة الحافظ ابن كثير في التفسير عند قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ - في سورة البقرة - وهي صالحة للاحتجاج ، ومن مجموعها يصير الخبر صحيحاً .

وعن أس قال : قال رسول الله ﷺ : لن تخلو الأرض من أربعين
رحلاً مثل حليل الرحمن ، فبهم تسقون وبهم تنصرون ، ما مات منهم
أحد إلا أبدل الله مكانه آخر » .. رواه الطبراني في الأوسط وإسناده
حسن (كذا في مجمع الزوائد ج ١٠ / ٦٢) .

الواسطة العظمى :

وفي يوم المحشر الأعظم الذي هو يوم التوحيد ويوم الإيمان يوم

يبرز العرش ، يظهر فضل الوساطة العظمى صاحب اللواء المعقود
والمقام المحمود والخوض المورد الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا
تضيع ضمانته عند من وعده بأن لا يخيب ظنه ولا يخزيه أبداً ولا
يخزئه ولا يسوؤه لحي أمته حيث يشجعه الخلق إليه ويستشدعون به فيقوم
فلا يرجع إلا بخلة الإحسان وتاج التكرام الممثل لحي قول الله له : «
يا محمد ارفع رأسك واسمع نفع وسئل تعطل » .

حقيقة الأشاعرة

وذكرهم كسائر من اتبع المذاهب الأربعة ، ولا يفرقون بين
 هم من عرّفوا بالأشاعرة هم من أمر الله ، ولا يفرقون بين
 بينهم من يفرقون بينهم بالمروءة من الدس والإلحاد في بعض
 ..

وهم خهل مذهب الأشاعرة سبب تمزق وحدة (أهل السنة)
 رشتت عملهم حتى عدا بعض الجهلة يجعل (الأشاعرة) صم
 صوف حل الصلح ، ولست أدري كيف يقرن بين أهل الإيمان وأهل
 الصلح ، وكيف يساوي بين أهل السنة وبين غلاة المعتزلة وهم
 الجهمية .

﴿ فتجعل المسلمين كالمجرمين مآلکم کیف تحکمون ﴾

الأشاعرة : هم أئمة أعلام الهدى من علماء المسلمين الدس ملا
 علمهم مشارق الأرض ومغاربها ، وأطبق الناس على فضلهم وعلمهم
 ودينهم ، هم جهابذة علماء أهل السنة وأعلام علمائها الأفاضل الدس
 وقفوا في طغيان المعتزلة .

هم الذين قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية والعلماء

أنصار علوم الدين والأشاعرة أنصار أصول الدين (الفتاوى الجزء الرابع)

إيهم طوائف المحدثين والفقهاء ، والمفسرين من الأئمة الأعلام كشيخ الإسلام أحمد ابن حنبل القسطلاني شرح المحدثان بلا سراء ، صاحب كتاب (فتح الباري ، علمي شرح البخاري) شعري المذهب وكتابه لا يستغني عنه أحد من العلماء .

وشيخ علماء أهل السنة الإمام النووي صاحب (شرح صحيح مسلم) وصاحب المصنفات الشهيرة شعري المذهب .

وشيخ المفسرين الإمام القرطبي صاحب تفسير (الجامع لأحكام القرآن) شعري المذهب .

وشيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي صاحب كتاب (الزواج عن إقرار الكائن) شعري المذهب .

وشيخ الفقه والحديث الإمام الحجة الثبت زكريا الأنصاري (شعري المذهب) .

والإمام أبو بكر الباقلاني والإمام القسطلاني والإمام النسفي والإمام الشريني وأبو حيان النحوي صاحب تفسير (البحر المحيط) ، والإمام ابن جزى صاحب (التسهيل في علوم التنزيل) إلخ .. كل هؤلاء من أئمة الأشاعرة .

ولو أردنا أن نعدد هؤلاء الأعلام من المحدثين والمفسرين والفقهاء من أئمة الأشاعرة لصاق بما الحال واحتجنا إلى مجلدات في سرد أولئك العلماء الأفاضل الذين سلا علمهم مشارق الأرض ومغاربها . إن من الواجب أن مرد الحميل لأصحابه وأن يعرف الغفيل لأهل العلم والفضل الدين سدموا شريعة سيد المرسلين ﷺ من العلماء الأعلام .

وأى خير برحى فسا إن رمنا علماءنا الأعلام وأسلافنا الصالحين سائرهم والصلال ؟

وكيف يفتح الله علينا لنستفيد من علومهم إذا كنا نعتقد فيهم التزيع والتزيغ عن طريق الإسلام .

إنى أقول : هل يوجد بين علماء العصر من الدكاترة والعباقرة ، من يقوم بما قام به شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني والإمام النووي ، من خدمة السنة النبوية المطهرة ، كما فعل هذان الإمامان الجليلان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان ؟

فكيف نرميهما - وسائر الأشاعرة - بالضلالة ونحن بحاجة إلى علوم هؤلاء ؟ !

وكيف نأخذ العلوم عنهم إذا كانوا على ضلال ؟ ، وقد قال الإمام ابن سيرين رحمه الله : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم .

أفما كان يكفي أن يقول المعارض : إنهم رحمهم الله اجتهدوا فأخطأوا في تأويل الصفات ، وكان الأولى أن لا يسلكوا هذا المسلك ، بدل أن يرميهم بالزيف والضلال ، وبغضب على من عداهم من أهل السنة والجماعة

وإذا لم تكن الإمام النووي والعسقلاني والفرطبي والباقلاني والمخضر السرازي والبهتسي وركريا الألبساري وغيرهم من جهابذة العلماء ، وفقطاغل الشافعية من أهل السنة والجماعة ، فمن هم أهل السنة إذن ؟

إنني أدعو مخلصاً كل الدعاة وكل العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أن يتقوا الله في أمة محمد ﷺ وبخاصة في أحلة علمائها وأحبار فقيائها ، فأمة محمد ﷺ بخير إلى قيام الساعة ولا حير فينا إذا لم نعرف لعلمائنا قدرهم وفضلهم (١) .

(١) انظر ما كتبه شيخنا العلامة الشيخ محمد علي الصابوني في مسألة الأشاعرة من بحوث طويلة مهمة

حقائق نهوت بالبحث

وغير ذلك من العلماء ، في حقائق كثيرة من مسائل العقيدة من
ثم تركوه راء الله تعالى ، وأما أرى أن ذلك البحث يذهب بها إلى
حدود وحدانيته ، وذلك من أجل اختلاف العلماء في راء الله الذي لا يحد
من حده وحداني ، وكيف كانت ، والخلاف الفهم بل العنصر الذي يسميه
غير راء راء ، فمن قائل راء بقلبه ، ومن قائل راء بعينه ، وكل
سور راءه ويستصر له عما لا طائل تحته ، والذي أراد أن كل ذلك حس
لا فائدة فيه بل صرره أكبر من نفعه ، خصوصا إذا سمع العواء قد
فيه تدخل التشكيك في قلوبهم لا محالة ، ولو أننا ألغينا البحث عن
قد واكتفينا بإيراد هذه الحقيقة كما جاءت لبقيت مكرمة معظمة في
سبوس بأن نقول إنه ﷻ رأى ربه ونقتصر على هذه الحقيقة وترت
ساقى له هو

وكلم الله موسى تكليماً :

ومن ذلك أيضاً ما يجري بين العلماء من البحث في حقيقة
كلام الله تعالى والخلاف الكبير الدائر في هذا الباب ، فمن قائل
إن كلامه سبحانه وتعالى كلام نفسي ومن قائل : إن كلامه
سبحانه وتعالى بحرف وصوت ، وأنا أعتقد أن كلا الطرفين

يطلب حقيقة التبره لله سبحانه وتعالى ويسعد عن الشرك
بكل انواعه

ومسألة الكلام حقيقة ثانية لا مجال لإنكارها إذ هو لا ساقط
الكلام إلا لله وهذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن مسأله سبحانه
ويعلمه بوارده في القرآن تحت الإيمان بها والتمسكها لأنه لا يعرف الله

[illegible]

هو ﷺ يحدثنا عنه يوم نجتمع به عند الله سبحانه وتعالى ، نحن
ندعو إلى أن يكون حديثنا دائماً عن هذه الحقيقة وأمثالها مجرداً عن
القوص في كفياتها وصورها وأشكالها .

إني أراكم من خلفي :

ومر ذلك أيضاً ما يجري بين العلماء من البحث في حقيقة قوله

ﷺ : « إني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي » فمن قائل : إن الله تعالى يجعل للنبيه ﷺ عيين من الخلف ، ومن قائل : إن الله سبحانه وتعالى يجعل لعينيه الأماميتين قوة نفاذة ترى بها ما خلفهما ، ومن قائل : إن الله سبحانه وتعالى يعكس له ﷺ ما خلفه حتى تكون صورته أمامه بان عليه ، وكل هذا تدفع بخرج هذا الحقيقة عن حمالها وروادها ، ومذهب هبته وحلالها في القلوب .

أما كونه ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه فهي حقيقة ثابتة أخير بها بنفسه فيما صح عنه فلا مجال لإنكارها ، ولكن الذي ندعو إليه وسراء هو أن نثبت هذه الحقيقة هكذا مجردة كما وردت دون الدخول في كيفيتها وشكلها ، يجب علينا أن نعتقد إمكان ذلك وثمرته بأن نشهد بخارق من الخوارق التي تضمحل عندها الأسباب وتتلاشى لتظهر قدرة الواحد القهار ومنقبة النبي المختار ﷺ .

جبريل يتمثل رجلاً :

ومن ذلك أيضاً اختلاف العلماء في كيفية تشكل جبريل عليه السلام إذا جاء بالوحي على صورة رجل مع هول خلقه .

فمن قائل : إن الله يفني الزوائد من خلقه ، ومن قائل : إنه ينضم بعضه إلى بعض حتى يصير صغيراً ، والذي أراه أن كل ذلك عبث ، وأن البحث فيه تعب لا فائدة منه ، فنحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى قادر على ذلك ، وأن هذا واقع ومشاهد ، فقد رآه كثير من

الصحابة على تلك الصورة ونحن لا يهمنا معرفة الطريقة التي يتم بها
قتل الملك بصورة رحل ، وندعو إخواننا من طلاب العلم إلى إيراد هذه
المقصد دور النعزم لما وراها من خلاقات لتبقى حليلة عظيمة في
العرس

الخاتمة

عقيدة الاسلام

[illegible]

وَهُوَ تَعَالَى مُقَدِّسٌ عَنِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَعَنِ مِثَابَهَةِ الْأَكْوَانِ
وَلَا تَحِيطُ بِهِ الْجَبَاهُتُ ، وَلَا تَعْتَرِيهِ الْحَادِثَاتُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ عَلَى
النُّوحِ سِدِّي قُلُوبَهُ ، وَبِالْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ ، اسْتَوَاءٌ يَلِيقُ بِعِزِّ حُلَالِهِ ، وَعُلُوِّ
مَحَمَدٍ وَكَرِيَمَانِهِ

وإنه تعالى قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى الإنسان من
 جبل الوريد ، وعلى كل شيء رقيب وشهيد ، حي قيوم ﴿ لَا تَأْخُذُهُ
 سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾
وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عِدْدًا ﴾
 ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾
 ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
 وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهَسْبُو مَعَكُمْ آيِينَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴾ ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ
 وَالْبَحْرِ وَمَا سُقِّدَ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حِجَابٌ لِمَنْ ظَلَمَاتِ
 الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا نَاسٌ إِلَّا عَلَى كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

وَأَنَّهُ يُغْفِرُ الذَّنْئَاتِ ، مَدِيرٌ لِلْحَادِثَاتِ .

وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ كَائِنْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، أَوْ نَفْعٍ ، أَوْ ضَرٍّ ، إِلَّا بِقَضَائِهِ
 وَمَشِئَتِهِ ، قَدْ شَاءَ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ
 كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يَحْرُكُوا فِي الْوُجُودِ ذَرَّةً أَوْ يَسْكُنُوهَا دُونَ إِرَادَتِهِ تَعَالَى
 لَعَجَزُوا عَنْهُ .

وَأَنَّهُ تَعَالَى سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ أَزَلِي لَا يَشْبَهُ
 كَلَامَ الْخَلْقِ .

وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كَلَامُهُ الْقَدِيمُ ، وَكِتَابُهُ الْمُنْزَلُ عَلَى نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ
 مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالرَّازِقُ لَهُ وَالْمَدِيرُ لَهُ ، وَالْمُتَصَرِّفُ
 فِيهِ كَيْفَ شَاءَ ؛ لَيْسَ لَهُ فِي مَلِكِهِ مُنَازَعٌ وَلَا مَدَافِعٌ ، يُعْطِي مَنْ
 يَشَاءُ ، وَيُمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ .

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾

وأنه تعالى حكيم في فعله ، عدل في قصائه ، لا يتصور منه ظلم ولا جور ، ولا يحسب عليه لأحد حق ، ولو أنه سبحانه أهلك جميع خلقه في طرفة عين لم يكن بذلك خائراً عليهم ، ولا ظالماً لهم ، فإنهم ملكه وعبيده ، وله أن يفعل في ملكه ما يشاء ، وما ربك بالظالم للعبيد ، شرب عباده على الطاعات ، ودلاً وكرماً ، وبغافيتهم على العاصي حكمة وعدلاً

وأن طاعته واجبة على عباده بإيجابه على السنة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام .

وتؤمن بكل كتاب أنزله الله ، وبكل رسول أرسله الله وبملائكة الله تعالى وبالقدر خيره وشره .

وتشيد أن محمداً عبد الله ورسوله ، أرسله إلى الجن والإنس ، والعرب والعجم - بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وأنه صادق أمين ، مؤيد بالبراهين الصادقة ، والمعجزات الخارقة ، وأن الله فرض على العباد بصدقه وطاعته واتباعه .

وأنه لا يقبل إيمان عبدٍ - وإن آمن به سبحانه - حتى يؤمن برسالة محمد ﷺ، ويحقيق ما جاء به ، وأخير عنه من أمور الدنيا والآخرة والبرخ .

« ومن ذلك » أن تؤمن بسؤال منكرو ونكسر للموتى : عن التوحيد والدين والنبوة .

وأن يؤمن بدعم القبر لأهل الطاعة وبعباده لأهل المعصية .

وأن يؤمن بالبعث بعد الموت وبحشر الأحساء والأرواح إلى الله ، وبالتوفيق بين رضى الله ، وبالحساب ، وأن العباد يتفاوتون فيه إلى مسامح وعاقش ، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب .

وأن يؤمن بالميزان الذي توزن فيه الحسنات والسيئات وبالصراف وهو حصر محدود على متن جهنم ، وبحوض نبينا محمد ﷺ : « الذي يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة ، وماؤه من الجنة » .

وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ، ثم الصديقين والشهداء ، والعلماء والصالحين والمؤمنين . وأن الشفاعة العظمى مخصصة بمحمد ﷺ .

وأن يؤمن بإخراج من دخل النار من أهل التوحيد ، حتى لا يخلد فيها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان . وأن أهل الكفر والشرك مخلدون في النار أبد الأبد ، و ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ . وأن المؤمنين مخلدون في الجنة أبداً سرمداً ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ .

وأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة بأبصارهم ، على ما يليق بجلاله
وقدس كماله .

وأن يعرفوا فضل أصحاب رسول الله ﷺ وترتيبهم ، وأنهم عدول
خيار أئمة ، لا يحدور سبهم ، ولا القلح في أحد منهم ، وأن الخلفاء
الحق بعد رسول الله ﷺ « أبو بكر الصديق » ثم « عمر الفاروق » ثم
« عثمان السعيد » ثم « علي المرتضى » ، رضي الله تعالى عنهم
وعر أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى
يوم الدين ، وعنا عنهم برحمتك اللهم يا أرحم الراحمين .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين

وكتبه

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني
خادم العلم الشريف
بالبلد الحرام

الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| مقدمة | ٣ |
| مقدمة هل الحق | ٥ |
| مقدمة عن مفسر السور | ١٨ |
| مقدمة عن صحة التأويل | ٣٢ |
| من سمع التأويل | ٣٥ |
| صوت تفسيرها السكوت عنها | ٣٨ |
| معية إلهية | ٤١ |
| من الله | ٤٧ |
| توحيد الألوهية والربوبية متلازمان لا ينك أحدهما عن الآخر | ٥٥ |
| ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى | ٦٣ |
| الاستدلال بآيات في غير محلها الوارد | ٧١ |
| القران كلام الله وهو أفضل الكلام بلا خلاف | ٧٥ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| مقام الخالق ومقام المخلوق | ٨١ |
| أمر مشترك بين المقامين لا يغالي التنزيه | ٨٨ |
| المختار العقلي واستعماله | ٩١ |
| الاعتقائيات بين العبادة والأدب | ٩٩ |
| الواسطة الشريكة | ١٠٥ |
| حقيقة المشاعرة | ١١٢ |
| حقائق تموت بالبحث | ١١٦ |
| الخاتمة - عقيدة الإسلام | ١٢٠ |
| الفهرس | ١٢٥ |